

الغزاليّ والمولويّ

الدكتور عبد الكريم سروش

مؤسسة الدراسات والبحوث الثقافية

في المقال دراسة عن عارفين كبيرين، هما الغزالي والمولوي، رغم المصاعب التي يواجهها المتأمل في شخصية هذين الفذّين، قضى الكاتب مضجعه ليعرّفنا عليهما أولاً، ثمّ يبيّن لنا معالم طريقة كلّ منفرداً والتفاعل الكبير الذي حصل للمولوي من عقائد الغزالي وسلوكه وتأثير العالم الإسلامي بأفكارهما القوية الباعثة النابعة من قرارة أنفسهما.

قد عزف الغزالي والمولوي كلاهما عن حبّ الدنيا وملذّاتها والولع بها وصرفاً حلّ همهم في حبّ الله ورضاه والسلوك إليه والعدول عمّا سواه وتركوا لمن خلفهم مشرباً عرفانياً نقياً عذباً بعيداً من التدليس والرياء والملق. ويورد الكاتب في مقاله هذا ميزات واختلاف كلّ منهما في آرائه ويقف عندها موقف الناقد المرفه.

العظمة صغر الدنيا في عينيه^(١).

لقد كان في أوج النعمة والشهرة حينما طرق الهاتف الرباني في ثوب وسوسة تنتقد قلبه الكسير، فصغرت الدنيا في عينيه، واضطرم في نفسه عطش مبارك، فلبّى داعي الحق صادقاً، وأسلم قلبه إلى مسخر الأرواح، وعزف عن مجالسة الأمراء والأعيان، والشهرة في دار الاسلام، والحب عند السلطان، والتدريس في النظامية، ونفض يديه من الأوهام طلباً لليقين، وانقطع عن ملذّات الدنيا ومتعتها، ومال إلى الخلوة والعزلة، وأسلم نفسه للتفكير والنظر، وفتح نافذة قلبه لنفحات رحمة الرحمن المنعشة للروح، واغتسل بماء الرياضة، ولبس ثوب الاملاق، وحبس النفس، وعزّز الهوى، وأطاح برأس الطمع، وسن حجر القلب بالأماس ماء العين شوقاً منه للمحبوب، وكابد الجوع والصمت والسهر، وقضى الأيام

قلماً نجد بين مفكري العالم الاسلامي من لم يتأثر بأفكار المتكلم والصوفي الايراني المسلم الكبير الامام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، وصان النفس من تأثير حركته الباعثة القوية، هذه الصيانة التي هي عين الحرمان، فكيف يمكن لشخص أن يتلقف عباراته العذبة البيان، وجزالة أسلوبه، وسداد فكره، وقدرته على التحليل، وجراته في النقد، غزارة علمه، وطهارة ضميره، وأن يسمع مايموج في عباراته من خشية المعاد، وشوق إلى اللقاء، وما يظهر من بغض شديد لمختلف العلماء العاطلين، والفقهاء السطحيين، والصوفية الجشعين التائهين، فيرى كل هذا ويدركه ولا يأبه له، ويبقى على حاله، لقد كان كلامه يخرج من القلب ليدخل إلى القلب، وكانت أفكاره تسري في الصدور كالنسيم، وتشع كالنور من النوافذ، وكملك يغلب على خيال الخلائق، وكان سبب هذه

ويستشهدون بأشعار الفراق والوصال لبعث النشاط والطرب لدى المخاطبين، ويوردون الكلام المتشابه والشطط وطامات الصوفية ليتظاهروا بالتصوف، لا يدعون الناس إلى الله بل يدعونهم إلى أنفسهم، ويتحدثون عن الأنس بالله، لكنهم لا يتحملون الخلوة لحظة واحدة، ويتحدثون عن آفات الشهرة وهم لا يتحملون إغراض الناس وقلة المريدين وهم مغرمون باقبال الناس عليهم وتكريمهم، يعرفون الدواء جيداً ويصفونه، لكنهم لا يصفون المراهم على جراحاتهم النفسية الخفية. هؤلاء هم شياطين الإنس وأبليس البشر، وأكلة اللحوم البشرية، ينفثون أنفاسهم السامة كريخ الحريف في غرسات الروح الطرية^(٥).

وأزاح الستار عن مدعي الصوفية الذين سقطوا في حبال مختلف أنواع الغرور، وهم يقلدون المتصوفة في زيهم وهياتهم. يُطرقون برؤوسهم، ويتأوهون بأصواتهم العالية، ويتحدثون خافتين، ويحملون السجادة على أكتافهم، ويحضرون مجالس السرقص والسماح، ويرددون الأورد، ويلبسون الصوف، ويحملون المسابح، ويزورون المشايخ، ويتفاخرون بالرواية عنهم، ويقضون حياتهم في الخانقاهات عاطلين باطلين، ويكسلون عن طلب الحلال، وينظرون إلى الفقهاء بعين السخرية والإعراض، ويقلدون في رصف الألفاظ الموزونة المنمقة، ويتخذون من كلام أرباب القلوب وسيلة للشهرة والرياء، ويدعون الوصال واللقاء والغناء، وشر من هذا طائفة لانصيب لها من تألق الروح وصفاء الإيمان طوا بساط الشرع، وطلّقوا الحلال والحرام، وسقطوا في حبال الإباحية، وزعموا أن انهماكهم في الإشتغال بأحوال القلب والبحث عن أسرار الباطن جعلهم غافلين عن أعمال الجوارح، يعتقدون باطلاً أنهم لما هم فيه من كمال القدرة وعلو المرتبة لا يمكن لأي رجس من الآثام أن يدنس ساحتهم، ولا لأي حرام أن يلوث صفاءهم، ويرون أنهم في غنى عن التهذيب والتطهير لا يأبهون، من تصوّرهم السقيم، لغلبة الغضب والشهوة. فليس عجباً وهم يملكون هذه المواهب من الجهل والرعون أن يقبلوا أحياناً هبات السلاطين، وأن يضربوا في البادية بلا صاحب ولا قوت بإسم التوكل، ويلقوا بأنفسهم إلى التهلكة. وإذا اتفق أن حدث لسالك في بداية الطريق الطوالع واللوائح، حسب

بالآلام حتى أحرق أدران النفس بنار المجاهدة والمراقبة، واطمأنت شمس القلب من كسوف الهوى، وحلت عيسى المعرفة في أحضان روحه، وأضيء مصباح نفسه بزيت عشق الحق ونار جذبه، وخرج من الخلوة كالكوكب الدرّي، وعلى رأسه تاج من «كرمنا» وعليه خلعة من «عبادي» فأطلق لسانه في إرشاد العباد، وبادر إلى تأليف «إحياء علوم الدين».

وجرد سيف النقمة على الفقهاء غير المتقين الذين اقتصروا على الظواهر، وغرقوا في قشور الدين، واقتنعوا بالافتاء بدل التفقه، وأخذوا من العلم بالحلال والحرام سلماً للرقى في الدنيا والتقرب من السلاطين، وسكتوا عن لب المعلوف وخواطر الباطن، وعن سر الطهارة التي هي طهارة السر، ونسوا الشريعة العطرة، ومضمون الوحي المثير الذي هو التقوى والإخلاص والمحبة، وأهملوا آفات النفس، وتسمكوا بالحيل وباعوا بمكرهم أحكام الشريعة بثمن بخس، واعتبروا الخلافات مثلاً أعلى للعلوم الدينية^(٦).

وحمل على الفلاسفة الضالين الذين أحلوا أنفسهم محل الأنبياء، ودنسوا الشريعة بآراء الغرباء، ووضعوا قفل أسطورة أرسطو على باب أفضل الأمم، ونقش أفلاطون المستهلك رمزاً لأحسن النحل^(٧)، وأضرموا نيران الشك في بيدريقين الخلائق، وفضلوا حكم العقل على أحكام الشريعة لغربتهم عن حواس الأنبياء.

وذم علماء الكلام الذين يعقدون مجالس المناظرة، ويلجؤون إلى أنواع الحيل والفتن لظعن الخصوم والاستخفاف بهم، ويجعلون همهم ترقيع ثوب الدين، وأثوابهم مدنسة بالرياء والكبر والحسد، ويرون أن الاستماع إلى أقاويلهم الماحقة للإيمان شرط للوصول إليه، وأضاعوا أعمارهم في مجادلة الخصوم دون أن يبادروا ولو لحظة إلى الجدل مع أنفسهم، وهم يتحملون من نصب ويظهرون من فضل في تتبع عيون الآخرين، لكنهم يتسامحون ويغفلون في الكشف عن عيوبهم، ويقضون أعمارهم في حل عقد واهية دون أن يلحظوا عقدة وجودهم^(٨).

وصرخ في وجه الوعاظ الذين يذمون الرياء وهم مراؤون، ويتحدثون عن الاخلاص وهم منه عاطلون، ويميلون في كلامهم إلى السجع والوزن ليشنف الآذان ويأسر القلوب،

الغزالي والمولوي

كما كان جلال الدين في الثامنة والثلاثين حينما ذرقرن شمس عام ٦٤٢ هـ في تبريز، فغدت ليلاليه نهراً، وأصبح ذلك المجلس الجليل في المحراب، لعبة أطفال الحارة^(١١)، وذلك المؤدب العالم عاشقاً ولها^(١٢)، ولم يعد الغزالي منذ ذلك الوقت، ذلك الغزالي الأول، ولا المولوي، ذلك المولوي الأول، فقد ألبسها مادتها الأولى صورة جديدة، وأضفيا على شريعة المسلمين وعرفانهم صورة بكرة.

نحن نعلم أن أحد مستوري قباب الغيرة باسم تبريزي، أخذ بلباب المولوي، ولكننا لاندرى أي فائن سخر قلب الغزالي، فإشارات لا تؤمى إلى أكثر من أنه كان في بداية السلوك يشاور بعض العرفاء^(١٣)، ويروي بعضهم أن تحذيرات أخيه أحمد الشديدة دعت إلى زهده وعزلته^(١٤)، ولا جرم أنهم كانوا يعتقدون بأن ذلك التطور العجيب نشأ عن ضربة فجائية، وقد زاد من التشابه بين هذين العالمين الكبيرين ما كانا فيه من الرياضيات الطويلة، والإعراض عن الطيبات، والتقيّد بأداب الشريعة وأصول الأشعرية، واستباحة السماع، والقيام في الليل، وقلة الطعام والنام.

لقد كان جلال الدين زعيم العشاق والمفتونين، ومؤجج نار المحبة في الأفكار^(١٥)، ومعلم العشق الشديد الحارق للوساوس^(١٦)، ومعلم الحب المجنون المعارض للحكمة^(١٧)، وكان كلامه كله عن الوصال والمحسوب^(١٨)، وصدره حانة لجميع العالم^(١٩)، يفتي بإراقة دماء الحزن^(٢٠)، وقطع رأس الهم^(٢١)، لكثرة طربه وسروره^(٢٢)، ويحطم باب السجن الأبدي في حالة السكر والعريضة والصياح^(٢٣)، ولا يستطيع أن يكون مؤدباً في سكره هذا^(٢٤)، ويكاد أن يمزق النطق جسمه عند وصف خال الحبيب^(٢٥)، لذلك كله كانت بينه وبين أبي حامد فراسخ طويلة، فقد ظل أبو حامد سنين طويلاً يصارع النفس ويفرق في الحزن والندم، ويهرب من آفة نفسية إلى أخرى، وكانت خشيته من خداع النفس تجعل كأسه مرة مذاق، ونفسه مليئة من خوف المحبوب عن الحق^(٢٦)، ويؤلم القلق والاضطراب قلبه الحساس، ويموج حديثه بالخوف والحذر والانتباه^(٢٧) بدل الجرأة والعشق والوصال، ويفكر دائماً بعجز النفس عن الغلبة على مكاييد الشيطان ولا يرى طريقاً للغلبة على وساوس النفس غير طريق المجاهدة والصراع الدائم

مغوراً كالأطفال أنها نهاية الوصال وتبدت في مذاقه حلوى لذيدة تبهج الفؤاد، وربما يسبق لسانه في هذا الدهشة فيقول: أنا الحق، ويرى الله في برده^(٢٨)، فياللعجب «العلوم الدينية كلها قد فسدت وضعفت إلا التصوف، فإنه قد انمحق بالكلية وبطل»^(٢٩).

إن تبهر الغزالي في العلوم الدينية، وماضيه المشرق في التدريس والمناظرة، وصفاء زلال حديثه، واستغنائه عن الأمراء والسلطين، وشجاعته في فضح عيوب المشرعين، حبه الخالص وشوقه الحار لجلاء جوهر الدين، والترغيب بتركيز النفس والزهد والقناعة في الحظوظ الدنيوية، والخوف من العقاب، وتفقد أحوال القلب، جعل كلامه راسخاً جذاباً جمع حوله الكثير من الأنصار إلى جانب قلة من المعارضين، وظل صوته كصدى حديث الحب خالداً في هذا الفلك الدوار، والذين جاءوا بعده كل حسب حاله وموهبته طرح قبساً من أنوار أقواله وأحواله.

لقد كان الصوفي العاشق الوهان في القرن السابع الإمام مولانا جلال الدين والذي «كانت يتدلّى من كل شعرة في رأسه مائة ألف شمس التبريزي»^(٣٠) متلاحماً مع أبي حامد الغزالي في سرّ الضمير، ينظر إليه من نافذة قلبه، ويحني الثار من أغصان تلك الشجرة الطيبة، لم يكن التشابه بين هاتين الروحين بالقليل، فكلاهما كانا من كبار علماء زمانها، وكلاهما استقطبا الكثير من المتعلمين بما كانا يتمتعان به من نواذر الحديث، وقدرة في الكلام، وبسطة في العلم، فازدهر المنبر بوجودهما، وكلاهما شغلا منصب الإفتاء والتدريس، وخطبياً بحب وتكريم الرؤساء والأمراء.

في عام ٤٨٨ هـ وبعد شهور من الصراع والالتهاب الروحي فر أبو حامد، وهو في الثامنة والثلاثين من عمره، من بغداد الساحرة الفاتنة، مقر الخلافة، ومربع المتكلمين، ومحفل الأدباء، عازماً في الظاهر لأداء فريضة الحج، وقاصداً في الباطن العزلة، ملتصقاً طريق الشام، تاركاً عظمة وغرور تلك الديار والتجارة بالعلم لصبية العراق^(٣١)، وترك هوى لبلى وسعدي وعاد إلى مصحوب أول منزل^(٣٢)، واسترجع الحق المغصوب من الجسد، وذهب إلى جامع دمشق وأقام مدة طويلة في مناره، واختار العزلة يتأمل في أحواله الماضية: منشغلاً، بتدارك ما فاتته.

الغزالي والمولوي

ليدخل في جدال فلسفي معهم، ولاهتم بسقي الظمأى، ومع أنه كان يفضل الرّابة على كل ملذّات الدنيا، ويبيح السماع^(٣٨)، (وقد دفع هذا المتدينين للطّعن فيه) وكان يلحج بعدم وجوب الالتزام الكامل بالفرائض^(٣٩)، فإنّه لم ينزع إلى مجادلة الفقهاء، ولم يصرح بدم طلاب الدنيا والجاه منهم، ولم يستصغر كالغزالي صنعتهم مقابل العلم بآفات النفس، وإن كان يجعل الهندسة والفلسفة وعلم النجوم والطبّ، ازاء طريق الحق ومنازل أرباب القلوب، كعلوم بناء الإسطنبول، ولكنه لم يحمل على الفقه^(٤٠).

إن الاختلاف بين الغزالي والمولوي من هذا النوع، وسنورد نماذج أخرى ليزداد هذا المعنى وضوحاً؛ ولكنّ المواضع التي اقتبس وتعلم منها المولوي من الغزالي كثيرة أيضاً تجعل القارئ يعتقد بأنّ آلام هاتين الروحين متماثلة ومتشابهة جداً، وكأن صورة الغزالي انطبعت في قلب المولوي الذكي لتحديثه عن حب المعبود وسرّه، ولابدّ من أن الذين شربوا شراب المعرفة طهوراً من دن المثوي، تناولوا الكأس سرّاً من يد الغزالي. ولو أنّ الغزالي كان يجلس صامتاً، فقد كان يشع كالقمر، ويبعث نور الإشراق في المشتاقين: فكيف إذا نطق لا يشرق على مرآة كالمولوي ولا يقرأ الأسرار في أذنيه^(٤١).

كان الغزالي عالماً عاشقاً، وكان المولوي عاشقاً عالماً، علم كلّيّ بعنان وحبّ فردي بلا عنان. كان كلام الغزالي عبارات كلّية في إحياء الدين، وكان شعر المولوي عبارات فردية عن فوران الدم. كان ذاك كالوجود الذهبي وكان هذا كالوجود الخارجي، كان ذاك كالمطر ينهل على الجميع، وكان هذا كالنار تحرق القابلين فقط، سلام على الاثنين، لا يكتمل أحدهما إلّا بالآخر.

نحن لانتطرق في هذا المقال إلى القصص والتشبيهات والأحاديث النبوية التي أخذها جلال الدين من كتب أبي حامد والتي استخرجت وتم التحقيق حولها في مكانها جيّداً^(٤٢)، ولا نشير إلى آراء وتعاليم الصوفية العامة التي وردت في جميع مصادر التصوف الأصلية والتعليمية، والتي لا يتيسر دخول طريق السلوك والتخلّق بأخلاق الصوفية، والتأدّب بآداب المشايخ دون الاطلاع عليها، كالتوبة والاخلاص والشكر والزهد والفرق.... فكلا الغزالي والمولوي تكلمتا في هذه المسائل

الذي ينهك الروح^(٣٨)، ويكتفي بعلم المعاملة، ولا يأذن للكتابة عن أسرار علم المكاشفة^(٣٩)، وينظر إلى آفات النفس وجراحاتها كالطبيب المدقّق، ثم يصف الدواء، ويحل عقد الرذائل والفضائل عقدة عقدة ويفصل لحمتها عن سداها، وكان يغضب للرذائل، ويزجر ويعاتب بالملاطفة وتجربة المعلم، ويصلح كل شيء بهدوء وأناة، ويدعو إلى اجتناب إثارة العواطف، ويعتبر الصّخب والحدة والانفعال من شأن أهل الدنيا^(٣٠)، ولا يغامر في حديثه عن الحب، ويصب وقاره وهدوءه في الكلمات، ويبرد نار الحديث بآء الأدب.

ولم يكن لتلك الصرخات وثورات الحب وعربدات السكر، وحارقات العافية، أثر في كلامه، وإذا ما استثنينا بعض الحالات النادرة التي ينم فيها لحنه عن أيام مناظراته الكلامية، وتفوح منها رائحة تحقير الخصم والاستخفاف بالمنافس^(٣١) فإننا نشاهد فيه بركاناً خمد اضطرامه وثورته، يسيل من خارجه رغم نيران داخله ماء عذب سلسيل وكأنّه الكوثر العذب.

ولاشكّ في أنّ المولوي لم يأخذ بحظ من المعارف الإسلامية إلّا وكان نصيب الغزالي منه أوفر، فهو باعتراف المولوي «أعلم العالمين». ولا شكّ أيضاً في أنّ المولوي كما سنورد اقتبس بعض عناصر العلم العرفاني والأخلاقي العالمي منه، أو كانا مترافقين فيها، لكن الذي يميز المولوي عن الغزالي وأمثاله من العرفاء، نفسه المتأججه، وكلامه الملهب، قلمه المحرق، ولم يكن المولوي ناري الصفة فقط، بل كان في معالجته لا يعرف دواء مؤثراً كنار الحب، وإذا كان الغزالي يداوي بالماء، فقد كان المولوي يصنع من النار دواءً، وكانت خلعة الروح الوسخة التي يريد الغزالي أن يطهرها بآء الورع، يعرضها المولوي لنار المحبة لتتحرق أوساخها وتمتاز بالصفاء والنقاء^(٣٢)، وكان عفريت الوسوسة الذي يريد الغزالي أن يقيده بقيد الذكر وسواعد المجاهدة^(٣٣)، يقطع المولوي رأسه بساطور المحبة، وكانت عقدة الجبر والقدر التي يريد الغزالي أن يحلها بأنامل الفكر والمنطق^(٣٤)، يحلّها المولوي بإشارات المحبة الساحرة، لتتجاوز عن أنّ ألم الحبّ لم يكن يعطي المولوي مجالاً للبحث والنقاش الكلامي، وإن كان ينهج نهج الغزالي في طرد الفلاسفة والمتكلمين، ويرى همسات شكوك الفلاسفة مناقية للآيان الخالص، ويفضل البلاهة على الفلسفة^(٣٧)، لكنّه لم يكن

الغزالي والمولوي

كثيراً مما يدل على أنها جرعا من عين واحدة، ونحن سنبادر على الأغلب إلى ذكر نماذج من أبيات مثنوي تبدو أكثر تأثراً من غيرها، وتحتوي على الأفكار الخاصة بالغزالي، أو تضمنت تعابير وكلمات له. سنشير إلى بعض كنايات المولوي التي يقصد بها الغزالي مباشرة، وإلى بعض الاختلافات بين هذين العالمين في الدرك والتفسير، ورغم قدرتنا على توسيع مجال القياس هذا، فقد اكتفينا بالمثنوي عن المولوي وبأحياء علوم الدين عن الغزالي، متمثلين بأن «كل الصيد في جوف الفراء». ولأن لب وعصارة وجميع إنجازات هذين العالمين الكبارين، وعلومهما المعنوية والعرفانية مودعة في هذين السافرين المقدسين.

(١)

لقد أورد الغزالي ثلاثة أدلة رئيسية على تفسير وتعليل ذم علم النجوم، الأول لا يتعلق بعلم النجوم، بل هو بصورة عامة يدور حول البحث عن السبب ومعرفة، والذي هو نتاج بحوث البشر العقلية والتجريبية (ومنها علم النجوم)، ويرى أنه يتضمن خطراً خفياً هو أن قصر النظر على الأسباب والتوغل في كشف الروابط والوسائط يمنع الذهن عن النظر إلى مسبب الأسباب، ويقوّي في النفوس الضعيفة الناقصة التوهم بأن الخيوط هي كل شيء، ولا يوجد من يمسك برؤوس الخيوط هذه ويوجهها:

«فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم والراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى... فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة، مقطوع من الترقى إلى مسبب الأسباب...»^(٤٣).

وللمولوي:

آن مبدل بين وسائط را بمان
کز وسایط دورگردی زاصل آن
واسطه هر جا فزون شد وصل جست
واسطه کم، ذوق وصل افزونتر است
از سبب دانسی شود کم حیرت
حیرتی که ره دهد در حضرتت^(٤٤)

چشم بند خلق جز اسباب نیست
هر که لرزد بر سبب زاصحاب نیست^(٤٥)
این سببها بر نظرها پرده هاست
که نه هر دیدار صنعش را سزااست^(٤٦)
ونحن نرى أن كلام المولوي أكثر غناء في المضمون، فالغزالي ينبهنا إلى نوع من الخطأ الفكري، ويحذرننا من السذاجة، أما المولوي فقد كان ينظر إلى الحبيب في كل حال نظرة العاشق الوهّان (لأنظمة العالم) ولذلك كان يعتبر أن معرفة السبب تؤدي إلى الابتعاد عن الحبيب والبحث عن الوسائط والخوض في الكثرة والحرمان من الوصال. والذي يطلبه العشاق ليس العلم الصادق، بل الاتحاد بالمعلوم والمعشوق. ولذلك فإن كل علم، مهما كان، هو في النهاية نوع من الحجاب ولا بد من خرقه.

ويذكرنا ما يورده الغزالي في مواصلته لهذا البحث، ويعتبر فيه العلم غير النافع من العلوم المذمومة، وبعض المعارف عقيمة ومضرة ويقول: «فيجب كف الناس عن البحث عنها، وردّه إلى أعلى مناطق به الشرع... فكم من شخص خاض في العلوم واستضرّ بها، ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين ممّا صار إليه»^(٤٧)، يذكّرنا بأبيات المولوي التالية:

ای بسا علم و ذکاوات و فطن
گشته رهرو را چو غول و راهزن^(٤٨)
چون مبارک نیست بر تو این علوم
خویش را گولی کن و بگذر زشوم
احمقیّم بس مبارک احمقی است
که دلم بابرگ و جانم متقی است
گر تو خواهی کت شقاوت کم شود
جهد کن تااز تو این حکمت رود
عقل قربان کن به پیش مصطفی
حسبی الله گو که الله کفی^(٤٩)

(٢)

للغزالي:

«... ظنّ بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء... إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتبسّكن

الغزالي والمولوي

الجوارح إلا عن رواتب الفرائض فيترأى للنّاظرين أنها بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذّكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام. وتشبّه الضعيف بالقوّي فيما يرى من ظاهره أنّه هفوة بضاهي اعتذار من يلقي نجاسةً يسيرةً في كوز ماء ويتعلّل بأنّ أضعاف هذه النجاسة قد يلقي في البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز. ولا يدري المسكين أنّ البحر بقوّته يُحيل النجاسة ماءً فتقلب عين النجاسة باستيلانه إلى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحمله إلى صفته...»^(٥٠)

للمولوي:

صاحب دل را ندارد آن زیان
گر خورد آن زهر قاتل را عیان
گفت پیغمبر که ای طالب جری
هان مکن باهیج مطلوبی مری
در تو نمرودی است آتش درمرو
رفت خواهی اول ابراهیم شو
کاملی گر خاک گیرد زر شود
ناقص ارز بر خاکستر شود
ای مری کرده پیاده باسوار
سر نخواهی برد اکنون پای دار^(٥١)
گر ولی زهری خورد نوشی شود
ورخورد طالب سیه هوشی شود^(٥٢)
این چنین بهتان منه بر اهل حق
کاین خیال تست بر گردان ورق
این نباشد وربود ای مرغ خاک
بحر قلزم را زُمرداری چه باک؟
نیست دون القلّتين و حوض خُرد
کش تواند قطره ای از کاربرد
آتش ابراهیم را نبود زیان
هر که نمرودی است گومی ترس از آن
حوض بادریا اگر یهلو زند
خویش را از بیخ هستی برکنند
نیست بحری کوکران دارد که تا
تیره گردد او ز مردار شها^(٥٣)
هان وهان ترک حسد کن باشهان
ورنه ابلیسی شوی اندر جهان
کو اگر زهری خورد شهدی شود
تو اگر شهدی خوری زهری بود

تو رعیت باش چون سلطان نه ای
خودمران چون مردکشتیبان نه ای
چون نه ای کامل دکان تنها مگیر
دستخوش می باش تاگردی خمیر^(٥٤)
چونکه در تو می شود لقمه گهر
تن مزن چندانکه بتوانی بخور
چونکه در معده شود پاکت پلید
قفل نه بر حلق و پنهان کن کلید
هر که در وی لقمه شد نور جلال
هرچه خواهد گو بخور، او را حلال^(٥٥)

و يبدو أنّ المولوي يتجاوز الغزالي تجاوزاً كبيراً، ورغم أنه يحذر الضعيف ألا يظن نفسه كالقوي وألا يقتدي به في مساهلاته مغروراً، ولا يعاند القادة وألا يقارن بين عمل الأذكياء وعمله، فإن ما يستشمن من أشعاره أنه يحلل للشيخ الكامل نوعاً من الإباحية، ويرضى منه كل ما يفعل ويترك، ولا يبيح الظنّ به ومهاجمته. أما الغزالي فيرى أنّ على المريد والمراد مراعاة الفرائض في جميع الأحوال والمقامات، ولا يبيح له بحال من الأحوال بيع الفقه للتصوف رخيصاً، والإفتاء بإسقاط الفرائض، ومع ذلك فإنّ أشخاصاً كابن الجوزي اتهموا الغزالي أحياناً بهذا البيع الرخيص.

(٢)

للغزالي:

«فالعالم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو. ولذلك لا يرخص له في البيع من يعلم بقرائن أحواله أنّه يريد به الاستعانة على قطع الطريق...»^(٥٦).

وأيضاً:

«ويقرّب من تقرّب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام، تقرّب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والأشرار المشغولين بالفسق والفجور... وليت شعري ما جوابه عن وهب سيفاً من قاطع طريق وأعدّ له خيلاً وأسباباً يستعين بها على مقصوده ويقول إنّها أردت البذل والسخاء...، والعلم سلاحٌ يُقاتل به الشيطان وأعداء الله تعالى وقد يعاونُ به أعداء الله عزّ وجلّ وهو الهوى»^(٥٧).

وأيضاً:

«وما من ذرة في السموات والأرض إلا ولها أنواع شهادات لله تعالى بالوحدانية هي توحيدها، وأنواع شهادات لصانعها بالتقدس هي تسبيحها ولكن لا يفقهون تسبيحها لأنهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ومن ركافة لسان القال إلى فصاحة لسان الحال...»^(٦٢).

وأيضاً:

«الخامس أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال... ومن هذا قوله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده، فالبليد يفتقر فيه إلى أن يقدر للجادات حياة وعقلاً ونطقاً بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه، والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبحاً بوجوده ومقدساً بذاته وشاهداً بوحدانية الله سبحانه... كما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لابعني إنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال...»^(٦٣).

لقد كان نقد مولوي لمثل هذه التأويلات وتعريضه بها قاسياً وصريحاً ومؤذياً، فهل يمكن القول إنه كان يقصد به الغزالي مباشرة؟

للمولوي:

واستان از دست دیوانه سلاح
تازتو راضی شود عدل و صلاح
چون سلاحش هست وعقلش نی، ببند
دست او را، ورنه آرد صد گزند
بدگهرا علم و فن آموختن
دادن تیغ است دست راهزن
تیغ دادن در کف زنگی مست
به که آید علم ناکس را به دست
علم و مال و منصب و جاه و قران
فتنه آرد در کف بدگوهرا^(٥٨)

للمولوي:

«... وهذه حقائق ظاهرة للنّاظر بنور البصيرة، ثقيلة على من يستر وجه السّاع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات... ويعتقد فيها التّهافت. ومثاله مثال الأعمى الذي يدخل داراً فيعثر فيها بالأواني المصفوفة في الدّار فيقول ماهذه الأواني لا تُرفع من الطّريق وترد إلى مواضعها؟ فيقال له إنها في مواضعها وإنها للخلل في بصرك...»^(٥٩).

للمولوي:

ما ندانستيم ما را عفو كن
بس پراكنده كه رفت از ما سخن
ما كه كورانه عصاها می زنيم
لاجرم قنديلها را بشكنيم
ما چو كران ناشنیده يك خطاب
هر زه گويان از قياس خود جواب
ما زموسی پند نگرفتيم كو
گشت از انكار خضري زرد رو^(٦٠)

(٥)

للمولوي:

«بل أرباب القلوب والمجاهدات قد أنطق الله تعالى في حقهم كلّ ذرة في السموات والأرض بقدرته التي نطق كلّ شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السّمع لمعزولون، ولست أعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز بالأصوات، فإنّ الحمار شريك فيه، ولا قدر لما يشارك فيه البهائم، وإنّا أريد به سمعاً يُدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي...»^(٦١).

وأيضاً:

«... وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جليّة الحق ويتزيّن بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة، ومهما حصلت هذه المعرفة تبعثها المحبة بالضرورة...»^(٦٩).

للمولوي:

از محبت تلخها شیرین شود
از محبت مسها زرين شود
از محبت دردها صافی شود
از محبت دردها شافی شود
از محبت مرده زنده می کند
از محبت شاه بنده می کند
این محبت هم نتیجه دانش است
کی گزافه بر چنین تختی نشست
دانش ناقص کجا این عشق زاد؟
عشق زاید ناقص، اما بر جماد^(٧٠)

(٨)

«ومن يسافر ليستقرئ هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الالهية على صفحات الجاذبات لم يطل سفره بالبدن، بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسيبحات من آحاد الذرات، فما له وللتردد في القلوات وله غنية في ملكوت السموات؟ فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات وهي إلى ابصار ذوي البصائر مسافرات... فمن الغرائب أن يدأب في الطواف بأحد المساجد من أمّرت الكعبة أن تطوف به، ومن الغرائب أن يطوف في أكناف الأرض من يطوف به أقطار السماء»^(٧١).

للمولوي:

مارگیر از بهر حیرانی خلق
مارگیرد، اینست نادانی خلق
آدمی کوهی ست، چون مفتون شود؟
کوه اندر مار حیران چون شود؟
خوشتن نشناخت مسکین آدمی
از فزونی آمد و شد در کمی
خوشتن را آدمی ارزان فروخت
بود اطلس، خویش بر دلقی بدوخت
صد هزاران مار و کُ حیران اوست
او چرا حیران شدست و مار دوست؟^(٧٢)

چون زحس بیرون نیامد آدمی
باشد از تصویر غیبی اعجمی^(٦٤)

(٦)

للفزالي:

«...وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فإنها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسباً وكيف يكون جبراً محضاً وهو الضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية»^(٦٥).

للمولوي:

کرد حق وکرد ما هر دو بین
کرد مارا هست دان، پیداست این
گر نباشد فعل خلق اندر مبان
پس مگو کس را چرا کردی چنان
یک مثال ای دل پی فرقی بیار
تا بدانی جبر را از اختیار
دست کان لرزان بود از ارتعاش
وان که دستی را تو لرزانی زجاش
هر دو جنبش آفریده حق شناس
لیک نتوان کرد این با آن قیاس
زان پشیمانی که لرزانیدیش
مرتعش را کی پشیمان دیدیش؟^(٦٦)

(٧)

للفزالي:

«...ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله. فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة. والذكر أيضاً يورث الأنس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم...»^(٦٧).

وأيضاً:

«فإن أحب العارف ذاته، ووجود ذاته مستفاد من غيره، فبالضرورة يحب المفيد والمفيد له إن عرفه خالقاً موجداً ومخترعاً مبقياً وقيوماً بنفسه ومقوماً لغيره فإن كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة، فتععدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها...»^(٦٨).

الغزالي والمولوي

(٩)

للغزالي:

«... فإذا في الخلوة أنس بذكر الله. ولذلك قال بعض الحكماء: إنها يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة، فيكثر حينئذ ملاقة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة وقد قيل الاستئناس من علامات الافلاس...»^(٧٣).

وأيضاً:

«ويدعى الانسان بالله فمتى طابت له الخلوة؟ ومتى استوحش من مشاهدة الخلق؟ لا بل يرى قلبه يمتلئ بالخلوة إذا أحق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى، فهل رأيت مُحباً يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره؟...»^(٧٤).

للمولوي:

ای تو در پیکار خود را باخته
دیگران را تو زخود نشناخته
تو به هر صورت که آبی بیستی
که منم این والله آن تو نیستی
يك زمان تنها بمانی تو زخلق
در غم و اندیشه مانی تا به خلق
این توکی باشی که تو آن اوحدی
که خوش و زیبا و سرمست خودی
مرغ خویشی صید خویشی دام خویش
صدر خویشی فرش خویشی بام خویش^(٧٥)

(١٠)

للغزالي:

«وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة، إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه ولا يموت إلا على ما عاش عليه...»^(٧٦).

وأيضاً:

«... وجميع ما ألفه الانسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته.... ويكون طول المواظبة على الخير وتخليه الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت، فإنه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه...»^(٧٧).

للمولوي:

الحذر ای مرگ بینان بارعوا
العَجَل ای حشر بینان سارعوا
هر که یوسف دید، جان کردش فدا
هر که گرگش دید برگشت از هدی
مرگ هر يك ای پسر مهرنگ اوست
پیش دشمن دشمن و بر دوست دوست
پیش ترك آیینہ را خوش رنگی است
پیش رنگی آیینہ هم رنگی است
آنکه می ترسی زمرگ اندر فرار
آن زخود ترسانی، ای جان هوشدار!
روی زشت توست نه رخسار مرگ
جان تو همچون درخت و مرگ، برگ
از تو رسته است از نکوی است اربدست
ناخوش و خوش، هر ضمیرت از خودست
گر به خاری خسته ای خود کشته ای
ورحریر و قر دَری، خود رسته ای^(٧٨)

(١١)

للغزالي:

«وفي التوصل إلى الولد قرابة من أربعة أوجه... أما الوجه الأول فهو أدق الوجوه وأبعدها عن افهام الجاهل... وبيانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث وهباً له أرضاً مهيأة للحرث وكان العبد قادراً على الحرث ووكّل به من يتقاضاه عليها فإن تكاسل وعطل آلة الحرث... كان مستحقاً للمقت... فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الإعراب عن مراد خالقها...»^(٧٩).

للمولوي:

پای داری چون کنی خود را تولنگ؟
دست داری، چون کنی پنهان تو جنگ؟
خواجه چون بیلی به دست بنده داد
بی زبان معلوم شد اورا مراد
دست همچون بیل اشارت های اوست
آخر اندیشی عبارت های اوست
چون اشارت باش را برجان نهی
در وفای آن اشارت جان دهی^(٨٠)

الغزالي والمولوي

(۱۲)

للغزالي:

«والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخروية. فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات، والأخروية، كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله.. وهما علان متناقبان أعني أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على أكثر... ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إن أكثر أهل الجنة البله أي البله في أمور الدنيا»^(۸۱).

وأيضاً:

«... وإنا العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه وخطر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والأمن.. فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات، فإذا تجرد الإنسان لها حتى امتلأ منها، امتلأ بها كبراً ونفاقاً، وهذه بأن تُسمى صناعات أولى من أن تُسمى علوماً، بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالباً»^(۸۲).

وأيضاً:

«... ولكن الأكياس وأهل الحزم يفتروا بهذه وقالوا لو نجا أهل الأرض وهلكنا لم تنفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم.... ثم نرى أن المبتدع ليس يترك بدعته بجذاله بل يزيده التعصب والخصومة تشدداً في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للأخرة أولى»^(۸۳).

لقد تبني المولوي أفكار الغزالي العلمية بصورة عامة (والتي تتضمن تقديم معرفة النفس على معرفة العالم، والاهتمام بحسن العاقبة والمآل، وعدم بيع العلم للدنيا، وعدم الغوص في المجالات الفقهية والكلامية التي لا طائل تحتها والتحسر على النفس) وعكسها بصورة متفرقة في الأبيات التالية:

جامه های زرکشی را بافتن
درها از قعر دریا یافتن
خرده کاریهای علم هندسه
یانجوم و علم طب و فلسفه
که تعلق با همین دنیستش
ره به هفتم آسمان برنیستش
این همه علم بنای آخورست
که عماد بود گاو و اشترست

بهر استبقای حیوان چند روز
نام آن کردند این گيجان رموز
علم راه حق و علم منزلش
صاحب دل داند آن را یا دلش^(۸۴)

ولا يخفى تعريض المولوي في الأبيات التالية بالفلاسفة
والفقهاء والمنجمين:

از پی این عاقلان ذوفنون
گفت ایزد درسی: لایعلمون
هر یکی ترسان زدزدی کسی
خوشتن را علم پندارد بسی
گوید او که روزگارم می برند
خود ندارد روزگار سودمند
گوید از کارم برآوردند خلق
غرق بیکاریست جانم تا به خلق
صد هزاران فصل داند از علوم
جان خود را می نداند آن ظلوم
داند او خاصیت هر جوهری
در بیان جوهر خود چون خری
که همی دانم یجوز و لایجوز
خود ندانی تو یجوزی یا عجز
این روا وان ناروا دانی و لیک
تو روا یاناروایی بین تونیک
قیمت هر کاله می دانی که چیست
قیمت خود را ندانی احمقیست
سعدھا و نحسھا دانسته ای
ننگری سعدی تو یا ناشسته ای
جان جمله علمها این است این
که بدانی من کیم در یوم دین^(۸۵)
عقدہ را بگشاده گیر ای منتهی
عقدہ سخت است برکیسه تهی
درگشاد عقدہ ها گشتی توپیر
عقدہ چند دگر بگشاده گیر
عقدہ ای کان بر گلوی ماست سخت
که ندانی که خسی یا نیک بخت
حلّ این اشکال کن گر آدمی
خرج این دم کن اگر صاحب دمی

الغزالي والمولوي

والطبيعات أيضاً بعضها مخالف للشرع والدين والحق، فهو جهل وليس علماً حتى نذكره في أقسام العلوم، وبعضها لا يحتاج إليه^(٨٨).

وبناء على هذا، فأينما يذكر الغزالي علم الكلام ويذم المتكلمين ويقدم بهم، يطعن في الفلاسفة بنفس القدر؛ ثم إنه يفضل البُله مقابل تلك التعقيدات والمهارات الفلسفية التي لا تنتهي إلا إلى الشيطنة والتطاؤل والسخرية والابتعاد عن الحق وهتك الحرمات. ولا يعتبر العلم الذي يؤدي إلى التضليل والتخبط أكثر من الكشف عن الحقائق وإيضاحها، نافعاً وضرورياً إلا في حالات خاصة، وذلك باستعماله كسلاح لردع الأعداء فقط، ويحقر دوماً تعمق المتكلمين الذي يبدو علمياً في الظاهر، ويستخف به، وتبدو لهجة الغزالي في هذه الحالات هادئة نصوحة عطوفة يطمئن القارئ فيها إلى أن إنكاره هذا لا ينبعث عن عداوة أو جهل، بل ينبع من تعمق الخبر، كما أن كلمات المولوي تبدو أيضاً مشحونة بهذا الرد والاستخفاف وتلك الطمأنينة والهدوء، وبالإضافة إلى ذلك كله يؤيد تفسير الغزالي للحديث النبوي الذي يعتبر البلاهة فيه بمعنى نفى التفلسف. يقول الغزالي:

«... فقد يظن أن فائدته (الكلام) كشف الحقائق ومعرفة ما على ماهي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعلّ التخبط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشويّ ربّما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا من خبر الكلام ثم فلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم آخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود. ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على الدّور في أمور جلّية تكاد تفهم قبل التعمق في صناعة الكلام...»^(٨٩).

ويقول أيضاً:

«... ربّما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلاً... والزهد والصّلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينبغي منه إلا الاعتقاد الحق، والبُله بمعزل عن هذا الخطر، أعني الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيماناً مجملّاً راسخاً كالأعراب والسّوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم

حدّ اعيان و عرض دانسته غير حدّ خود را دان كزان نبود كزير^(٩٠) وكان المولوي حفظ أثناء نظم هذه الأبيات نصيحة الغزالي «المجانبة» وعبر عنها:

«والمستغرق عمره في دقائق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التي بها تستحكم الخيوط التي تخرزها الرأوية للحج، ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكي طريق الحجّ أو ملايسى أركانه. فتأمل هذا أولاً وأقبل النصيحة مجّاناً ممن قام عليه ذلك غالباً ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراة تامّة على مباينة الخلق العامّة والخاصة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة»^(٩١).

ويتفق المولوي كذلك مع الغزالي في ذم الفلاسفة والمتكلمين، وطريقتهم المشكلة التي تبعث الاضطراب في النفس، وتعلّم منه جيّداً - وهو الذي وصل إلى أعلى درجة المتكلمين - أن هذه الصناعات ليست في حال من الأحوال طرق كسب الحقيقة واليقين، ومنتهى عملها أنها تزيد الوسائط وتقضي الطريق، وتزيد من كدورة باطن المتكلم وغروره، حتى إن عدم فصل علم الكلام عن الفلسفة، واستعمال هذين الاصطلاحين مترادفين، يظهر بوضوح مدى تأثير المولوي بالغزالي في هذه المسألة المهمة، ويذكر الغزالي في كتاب احياء علوم الدين، العلوم التي تعلّمها فرض عيني وواجب كفائي على المسلمين، والعلوم المحمودة والمذمومة، ويشرحها، ثم يبين الدليل على فرضها، وحسنها وقبحها، لكنه لا يذكر خلال ذلك علم الكلام والفلسفة، ثم يتساءل على لسان القارئ عن السبب الذي دعاه إلى عدم ذكر هذين العلمين بين العلوم، ويجيب: «إنّ حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها، فالقرآن والروايات المشتملة عليه، وما خرج عنها فهي من المجادلات والمشاغبات والبدع والترهات والهذيان التي تزدريها الطباع وتمهجها الأسباع، وأمّا الفلسفة فليست علماً برأسها بل هي أربعة اجزاء: الحساب والهندسة، والمنطق، والإلهيات، والطبيعات، أمّا الحساب والهندسة مباحان، وجاء ذكرها بصورة مستقلة، والمنطق أيضاً هو جزء من علم الكلام، والإلهيات هو بحث عن ذات الله، سبحانه وتعالى، وصفاته، وهو داخل في الكلام أيضاً،

الغزالي والمولوي

يشرعوا في الكلام استقلالاً ولاصغو إلى أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم المختلفة، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: أكثر أهل الجنة البله... فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ماوافق طبعه بظن وحسبان.... إلا إذا جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوة، وذلك هو الكبريت الأحمر وأنتي يتسر، وإنما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام أو الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول...»^(٩٠).

ويقول المولوي:

جز به مصنوعی ندیدی صانعی
برقیاس اقتیرانی قانعی
می فزاید در وسایط فلسفی
از دلائل، باز برعکسش صفی
این گریزد از دلیل و از حجب
از پی مدلول سربرده به جیب
گر دُخان اورا دلیل آتش است
بی دُخان مارا دراین آتش خوش است
خاصه این آتش که درقرب و ولا
از دُخان نزدیکتر آمد به ما^(٩١)
آنچه حق است اقرب از جبل الوريد
توفکنندی تیر فکرت را بعید
ای کمان و تیرها برساخته
صيد نزدیک و تو دور انداخته
فلسفی خودرا زاندیشه بکشت
گو بدو کورا سوی گنج است پشت
گو بدو چندانکه افزون می دود
از مراد دل جداتر می شود
جاهدوا فینا بگفت آن شهریار
جاهدوا عَنّا نگفت ای بیقرار
نی چو کنعان کو زکبر و ناشناخت
از کُبه عاصم سفینه فوز ساخت
علم تیراندازیش آمد حجب
و آن مراد او بده حاضر به جیب
ای بسا علم و ذکاوت و فطن
گشته رهرو را چو غول و راهزن

بیشتر اصحاب جنت ابله‌ند
تا زسر فیلسوفی می رهند
خویش را عریان کن از جمله فضول
ترك خود کن تا کند رحمت نزول
زیرکان با صنعتی قانع شدند
ابلهان از صنع در صانع شدند^(٩٢)
خود هنر آن دان که دیدآتش عیان
نی گپ «دَلُّ عَلَى النَّارِ الدُّخَانُ»
ای دلالت گنده تر نزد لبیب
در حقیقت از دلیل آن طبیب
چون دلالت نیست جز این ای پسر
زائر می خا، در کمیزی می نگر^(٩٣)
داند آنکو نیکبخت و محرم است
زیرکی زابلیس و عشق از آدم است
زیرکی بفروش و حیرانی بخر
زیرکی ظن است و حیرانی بصر
عقل قربان کن به پیش مصطفی
حسبی الله گو که الله کفی
هجو کنعان پا زکشتی و امکش
که غرورش داد نفس زیرکش
که برآیم بر سرکوه مشید
منت نوحم چرا باید کشید؟
کاشکی او آشنا ناموختی
تا طمع درنوح و کشتی دوختی
کاش چون طفل از حیل جاهل بُدی
تاچو طفلان چنگ در مادرزدی
یا به علم نقل کم بودی ملی
علم وحی دل ربودی از ولی
خویش ابله کن تبع میرو سپس
رستگی زین ابلهی یابی وبس
اکثر اهل الجنة البله ای پدر
بهر این گفته است سلطان البشر^(٩٤)
صد هزاران اهل تقلید و نشان
افکنده شان نیم وهی درگمان
شبهه می انگیزد آن شیطان دون
درفتند این جمله کوران سرنگون
پای استدلالیان چوبین بود
پای چوبین سخت بی تمکین بود

الغزالي والمولوي

این عصا چه بود؟ قیاسات و دلیل
آن عصا که دادشان بینا جلیل
او عصاتان داد تا پیش آمدید
وان عصا از خشم هم بروی زدید
چون عصا شد آلت جنگ و نفیر
آن عصارا خرد بشکن ای ضریر^(۹۵)

ثم إن طريقة تعلم الصوفية التي هي العمل على تصفية مرآة الباطن وجلاتها والطلب والعطش الدائم لكشف الحجاب وشرب شراب المعرفة، واجتناب المناقشات والأقاويل المدرسية، وردت واضحة في عبارات الغزالي التالية وأشعار المولوي التي كأنها ترجمة لتلك العبارات:

«... فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ماصنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة، بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولى لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرّة بلطف الرحمة وتلاأت فيه حقائق الأمور الإلهية، فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة. فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا والتبرّء من علائقها... وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط.»^(۹۶)

دفتر صوفی سواد و حرف نیست
جز دل اسپید همچون برف نیست
زاد دانشمند آتار قلم
زاد صوفی چیست؟ انوار قدم^(۹۷)
آب کم جو تشنگی آور به دست
تابجوشد آبت از بالا و پست
تاسقامهم ربهم آید خطاب
تشنه باش، الله اعلم بالصواب^(۹۸)
همچو آهن ز آهنی بی رنگ شو
در ریاضت آینه بی رنگ شو

خویش را صافی کن از اوصاف خود
تاببینی ذات پاک صاف خود
بینی اندر دل علوم انبیا
بی کتاب و بی معید و اوستا
بی صحیحین و احادیث و روایات
بلکه اندر مشرب آب حیات
ور مثالی خواهی از علم نهان
قصه گو از رومیان و چینیان^(۹۹)

ویذكر الغزالي بعد تلك العبارات التي أوردناها مثالين ليجعل الفرق بين هذين العلمين قابلاً للفهم من خلال التشبيه بالمحسوسات، وكان مثاله الثاني: قصة المنافسة الشهيرة بين الصينيين والرومان في الرسم، والتي يذكرها المولوي حرفياً عقب الأبيات السابقة مع اختلاف واحد هو أن المولوي يختمها بفوز الرومان (بدل الصينيين عند الغزالي) ويعتبر الصوفية كالرومان:

روميان آن صوفیان اند، ای پسر
نی زتکرار و کتاب و نی هنر
لیک صیقل کرده اند آن سینه ها
پاک زاز و حرص و بخل و کینه ها
نقش و قشر علم را بگذاشتند
رایت علم یقین افراشتند
أما مثال الغزالي الأول فهو الحوض الذي يمكن امتلاؤه عن طريقين: صبّ الأنهار فيه من الخارج، أو حضّر أسفل الحوض، وانفجار الماء من الداخل:

«إنّه لو فرضنا حوضاً محفوراً في الأرض، احتمل أن يساق الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ويحتمل أن يُحفر أسفل الحوض ويُرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقرّ الماء الصّافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر، فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء تكون الحواس الخمس مثل الأنهار، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علماً، ويمكن أن تُسدّ هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغلّ البصر ويُعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب منه حتى تنفجر ينباع العلم من داخله»^(۱۰۰).

وقد استفاد المولوي من هذا المثال أيضاً وأورده في مواضع أخرى من المثنوي:

وسبب اختلافهما، وأي قدرة أدت إلى تكامل المجتمعات التدريجي هذا، وما الذي يشغل الناس في الوقت الحاضر ويسخرهم، وماذا يجب أن يعمل الأذكاء في دنيا كهذه، ومجتمع وتاريخ كهذين، وكيف يستفيدون منها. إن هذا التحليل لمعرفة المجتمع بين وجهة نظر الغزالي السياسية وموقفه السياسي ويفسرهما، وسلاحظ أن المولوي يتبنى نفس قول الغزالي ويتبعه فيه في إحدى النقاط المهمة.

يعتقد الغزالي أن حاجات الانسان الأصلية ثلاث: الطعام والسكن والملبس، وليست هذه الحاجات جاهزة في متناول يده، ولذلك حدثت في البداية خمس صناعات هي أصول الصناعات: الفلاحة والرعاية والاقتناص (للحيوانات والمعادن والنباتات...) والبناء والحياكة، ثم الآلات التي يحتاجها أصحاب هذه الصناعات أدت إلى ظهور وحدوث صناعات أخرى هي: النجارة والحداة والحرازة (كل عمل في جلود الحيوانات وأعضائها).

ومن ناحية أخرى، فإن الانسان مضطر إلى الحياة الاجتماعية لسببين: الأول الحاجة إلى بقاء الجنس، والثاني الحاجة إلى التعاون والتناصر. إن اجتماع منازل هؤلاء داخل سور آمن ليحفظها من اللصوص وألم البرد والحر أحدث البلاد، وأن الحياة الاجتماعية بطبيعتها تؤدي إلى الخصومات والمنازعات، مهما كان هذا الاجتماع في المنازل أو في الأسواق أو في المزارع أو في المراعي، وهذه الخصومات تكون من أجل الحقوق أو بضاعة أو قطعة أرض أو سهم ماء، لأن الحرص والتكاثر يجعل كل واحد من الناس لا يرضى بحظه فيتجه كل واحد إلى توسيع ملكه. ثم يظهر العميان وكبار السن والمرضى الذين يعجزون عن العمل، ويجب أن يكون من يتولاهم حتى لا يهلكوا، ولو وكلت ولايتهم إلى الجميع لتخاذلوا، ولو خص بعضهم، لكان لا يذعن له؛ فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى، فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتمكن القسمة بينهم بالعدل؛ ومنها صناعة الجندية لردع الأعداء واللصوص، ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة، ومنها الحاجة إلى الفقه، لكن الذين يشتغلون بهذه الصناعات لا يستطيعون تأمين معاشهم من طرق أخرى فتحدث الحاجة إلى الخراج،

جدا كاريز اصل چیزها
فارغت آرد ازين كاريزها
تو زصد ينبوع شربت می کشی
هرچه زان صد کم شود کاهد خوشی
چون بجوشد از درون چشمه سنی
زاستراق چشمه ها گردی غنی
چشمه آبی درون خانه ای
به زردی کان نه درکاشانه ای
قلعه را چون آب آید از برون
در زمان امن باشد در فزون
چونکه دشمن گرد آن حلقه کند
تاکه اندر خونشان غرقه کند
آب بیرون را ببندد آن سپاه
تا نباشد قلعه را زانها پناه
آن زمان يك چاه شوری از درون
به زصد جیحون شیرین از برون^(۱۰۸)
چون زسینه آب دانش جوش کرد
نی شود گنده نه دیرینه نه زرد
ورره نبعش بود بسته چه غم؟
کوهمی جوشد زخانه دمبدم
عقل تحصیلی مثال جویها
کان رود درخانه ای از کویها
راه آبش بسته شد بینوا
تشنه ماند و زار و باصد ابتلا
از درون خویشتن جو چشمه را
تا رهی از منت هر ناسزا^(۱۰۹)

(۱۳)

يظهر الغزالي دقته وبصيرته وإلمامه بمعرفة المجتمع عندما يفسر سلوك الناس ودوران عجلة الحياة، وتقسيم الأشغال الاجتماعية، وظهور الأعمال والحرف وأنواع الصناعات. فقد وصف الدنيا والحياة البشرية في بعض أقسام كتاب إحياء علوم الدين، وكان وصفه أفضل مايكون في كتاب ذم الدنيا (الكتاب السادس من ربيع المهلكات) وبين الأسس التي تقوم عليها الحياة والعلاقات بين الناس، ولماذا تكون المجتمعات على الصورة التي هي عليها الآن، وما هو سرّ ظهور هذا التنوع الملحوظ في فنون الناس وأعمالهم، ولماذا ظهرت المدينة والقرية

الغزالي والمولوي

الهندسة وعلم المساحة، وليد الاحتياجات الزراعية، وهو شبيهه بما يقوله المؤرخون الماركسيون، ويشاهد إشارات إليه في مصر القديمة)، وخاصةً إذا أضفنا إليه البحث الرائع والعميق الذي أورده الغزالي في كتاب ذم الجاه والرياء والذي يعتبر فيه أن الشوق إلى الاستيلاء والغلبة هو المحرك لجميع أفعال الانسان حتى طلبه للعلم^(١٠٤)، كل ذلك يمكن أن يؤدي إلى ابتهاج المنحرفين اليساريين وسرورهم، وحتى يؤدي إلى اعتبارهم نظريته في الغفلة نوعاً من التوهيم الأيديولوجي، ولكن مجرد إلقاء نظرة عابرة إلى مجموع آثار الغزالي سيبيح ولاشك الخيبة والألم في نفوسهم؛ والعبارات التي يوردها الغزالي في ختام بحثه السابق تزيل كل شك - إن كان هناك من شك - ويعتبر أن الناجين هم الذين يقتنعون بالضروري من الدنيا، ولا يبقون في الدنيا وغفلتها، ويمضون بسرعة منها، ويشغلون عمرهم بالتفكير بالله وذكره.

ويستنبط من أقوال الغزالي بوضوح أن على الزهاد وأصحاب الفطنة ألا يجزعوا لاختلال نظام العالم، وعليهم أن يجزعوا لأنفسهم ويكونوا على ثقة بأن الله تعالى يدير ويدبر شؤون العالم بغفلة أهله وحرصهم، وأن هذا الدين كما قال الرسول (ص) «يؤد بأقوام لا خلاق لهم». ومسئولية التاريخ والعالم لاتقع علينا وأن مدير ومدبر العالم هو غيرنا، وأن واجبنا هو مجاهدة النفس والشفقة على الناس، ويجب أن نعمل ضمن هذا الحد. وفي نفس الوقت، ليس لدى الجميع هذا الحد من الفطنة لأن الاطلاع على هذا السر يؤدي إلى انطفاء نار الحرص والتكاثر وانهدام نظام العيش.

ونذكر فيما يلي نماذج أخرى من أقوال الغزالي في هذا المعنى:

«... فالمحترفون أيضاً إنما سَخَرُوا لِيَنْتَظِمَ الْمَلِكُ لِلْمُلُوكِ وكذلك المقبلون على الدنيا سَخَرُوا لِيَسْلَمَ طَرِيقَ الدِّينِ لِدَوِي الدِّينِ وهو ملك الآخرة ولولاه لما سلم لدَوِي الدِّينِ أيضاً دينهم، فسرط سلامة الدين لهم أن يعرض الأكثرون عن طريقهم وليشتغلوا بأمور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تعالى: نحن قسمنا بينهم معيشتهم...»^(١٠٥).

وأيضاً:

«... بل الرِّياسة وحبُّها يضطرُّ الخلق إلى طلبها.. وقد وعد

ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج وإلى من يجمعها ويقسمها أشغال أخرى. ثم إن هذه الأمور لا يمكن أن تجري منسقة وتلقائياً، فتحدث الحاجة إلى أمير يتولى أمرها ويراعي النصفة في أخذ الخراج وإعطائه، ويصدر أوامر الحرب ويسلح الجند، ويعين الأمراء والقادة، فيحدث من ذلك الحاجة إلى الخزان والكتاب والحساب والعمال والجباة، وهكذا يتفرع من كل شغل عشرات الأشغال، والأمر لا ينتهي إلى هذا الحد، لأن كل فرد لا ينتج كل ما يحتاج إليه، فتحدث الحاجة إلى بضائع الآخرين، ومنها تحدث الأسواق والحوانيت والنقود والتجارة، ثم تحدث الإجارة ويحدث البيع، وتولد معها المدينة مقابل القرية، ثم وجود النقود يؤدي إلى دار الضرب والصيارفة وهلم جرا. وفي الناس من يغفل عن الاحتراف في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه مانع فيبقى عاجزاً، فيحدث منه حرفتان خسيستان: الكدية واللصوصية، أما أهل الكدية فيتكدون بأساليب عديدة: إما بالتظاهر بالفالج والجنون والمرض، أو يلتجئون إلى الأفعال والأقوال الغربية ليرغبوا الناس في العطاء، ومنها تحدث الشعبذة وملاعبة القردة والطبل والفأل والشعر، حتى الواعظ الذي لا يعلم المستمعين شيئاً، وغرضه الوحيد هو التظاهر واستماله قلوب العوام، فشغله ليس أفضل من الكدية، ويمكن العثور على أكثر من ألفين من أنواع هذه الكدية التي تبدو في الظاهر من الأشغال. فهذه أنواع الأشغال التي حدثت من وراء الاجتماع، وكلها ترتوي من معين الحاجات المعيشية، وهكذا الناس وهم في غفلة يرضخون إلى التعب والمشقة، ويعملون ليلاً ونهاراً، ويدخرون الأموال وهم لا يشعرون بأن الحياة في هذه الدنيا تقوم على أساس غفلتهم وتكاثرهم وحرصهم، وأن نظام الحياة يحتاج إلى ألا يستيقظ الناس ولله في هذه السخريّة والغفلة مصالح:

«ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاماً للبلاد ومصلحة للعباد، بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة. ولو عقل الناس وارتفعت همهم لزهّدوا في الدنيا، ولو فعلوا ذلك لبطلت المعاش، ولو بطلت هلكوا وهلك الزهاد أيضاً»^(١٠٦).

إن هذا الحديث الذي يقدم في الظاهر الحرفة على الفكر، والحياة المعيشية على الحياة الفكرية (ويعتبر خاصة حدوث

اللَّهِ أَنْ يُؤَيِّدَ هَذَا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لَا خَلْقَ لَهُمْ فَلَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِأَمْرِ النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُهُمْ وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ. ثُمَّ إِنِّي أَقُولُ...
 إِنَّ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَلَدِ إِلَّا وَاحِدٌ وَكَانَ وَعْظُهُ نَافِعاً لِلنَّاسِ... فَلَا نَمْنَعُهُ مِنْهُ وَنَقُولُ لَهُ اشْتَغَلْ وَجَاهِدْ نَفْسَكَ فَإِنْ قَالَ لَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى نَفْسِي فَنَقُولُ اشْتَغَلْ وَجَاهِدْ. لِأَنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ تَرَكَ ذَلِكَ هَلَكَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِذْ لَا قَائِمَ بِهِ غَيْرُهُ وَلَوْ وَاطَبَ وَغَرَضُهُ الْجَاهُ فَهُوَ أَهْلُكَ وَحَدَهُ وَسَلَامَةُ دِينِ الْجَمِيعِ أَحَبُّ عِنْدَنَا مِنْ سَلَامَةِ دِينِهِ وَحَدِهِ. فَجَعَلْهُ فِدَاءً لِلْقَوْمِ وَنَقُولُ لَعَلَّ هَذَا هُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لَا خَلْقَ لَهُمْ»^(١٠٦).
 وأيضاً:

«... فكذلك لانزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرئاسة ولا يدعونها بقول من يقول: إن الوعظ لحب الرئاسة حرام، كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقه والرياء والظلم و سائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله أن ذلك حرام، فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس، فإن الله تعالى يصلح خلقاً كثيراً بإفساد شخص واحد وأشخاص وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم...»^(١٠٧).
 وأيضاً:

«وأمثال هذه المعارف التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء من ذلك لمن لم ينكشف له، بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعارة الدنيا، بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوماً لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الأسواق والمعاش...»^(١٠٨).

وللمولوي:

استن این عالم. ای جان غفلت است
 هوشیاری این جهان را آفت است
 هوشیاری زان جهان است و چو آن
 غالب آید، پست گردد این جهان
 هوشیاری آفتاب و حرص، یخ
 هوشیاری آب و این عالم، وسخ
 زان جهان اندک ترشح می رسد
 تا نغرد در جهان حرص و حسد
 گر ترشح بیشتر گردد زغیب
 نه هنر ماند در این عالم نه عیب»^(١٠٩)

ما چو واقف گشته ایم از چون وچند
 مهر بر لبهای ما بنهاده اند
 تا نگردد رازهای غیب فاش
 تا نگردد منهدم نظم معاش
 تا ندرد پرده غفلت تمام
 تا نجوشد دیگ حکمت نیم خام^(١١٠)
 خلق دیوانند شهوت سلسله
 می کشدشان سوی دگان و غله
 می کشدشان سوی کسب و شکار
 می کشدشان سوی کانهها و بحار
 می کشدشان به سوی نیک و بد
 گفت حق فی جیدها جبل المسد
 قد جعلنا الجبل في أعناقهم
 واتخذنا الجبل من أخلاقهم^(١١١)
 شهوت دنیا مثال گلخن است
 که ازان حام تقوی روشن است
 لیک قسم متقی زین تون صفاست
 زانکه در گرمابه است و در نقاست
 اغنیا ماننده سرگین کشان
 بهر آتش کردن گرمابه دان
 اندر ایشان حرص بنهاده خدا
 تا بود گرمابه گرم و بانوا
 ترک این تون گیر و در گرمابه ران
 ترک تون را عین آن گرمابه دان
 هرکه در تون است او چون خادم است
 مرو را که صابر است و حازم است»^(١١٢)

وأيضاً:

آن یکی را قبله شد جولاهگی
 وان دگر حارس برای جامگی
 آن یکی بیکار و رو در لامکان
 که از آن سو دادیش تو قوت جان
 کار او دارد که حق را شد مرید
 بهر کار او زهر کاری برید
 دیگران چون کودکان این روز چند
 تا به شب برخاک بازی می کنند»^(١١٣)
 کظم غیظ است ای پسر خط امان
 خشم حق یادآور و درکش عنان

والرياء والغضب والبخل في فتوى علماء الآخرة هو فرض عيني، وتركه يؤدي إلى غضب ملك الملوك والهلاك، والآن لنرى ألم يشر المولوي في الأبيات التالية الى نوعين من فقه الظاهر وفقه الباطن مجملًا ضمن تخطيطه لتكبر النحو؟

گرتو علامه زمانى در جهان
نك فنى اين جهان بين اين زمان
مرد نحوى را از آن درد و خستيم
تا شارا نحو نحو آموختيم^(١١٦)
فقه فقه و نحو نحو و صرف صرف
درکم آمدیابی ای یار شگرف

(١٤)

الأشعرية من المحاور الفكرية المشتركة بين الغزالي والمولوي، فكلاهما في بيان أصولها حازمان جازمان؛ ولكنها لا يبديان ذلك الجمود والتعنت في التطبيق. فالغزالي يتحدث عن عدم عبث الفعل الإلهي، وعن قبح البخل به، وعن نوع من التقدم والتأخر العلي والمعلولي والشرط والمشروط في العالم^(١١٧) وكل هذا لا يتفق مع مواقف الأشعرية المتصلبة، والمولوي ينفي أيضاً فعل العبث من الله تعالى ويستدل بالأوامر والنواهي الإلهية على وجود الاختيار عند الإنسان، إذ لو لم يكن الإنسان مختاراً لأصبح الفعل الإلهي عبثاً لا يقبله العقل، وهذا يعني قبول التحسين والتقبيح العقليين، وهو أمر طالما يصرّ الأشاعرة في نفيه وإبطاله:

هیج دانا هیچ عاقل این کند
با کلوخ و سنگ خشم و کین کند؟
خالقى کواختر و گردون کند

امر و نهی جاهلانه چون کند؟^(١١٨)
والخلاصة أنّ ربّ الأشاعرة ربّ مستبدّ غير منطقي، ليس لأفعاله أي مسوغ عقلي وأخلاقي، ولهذا لا يمكن الاعتماد عليه مطلقاً، فهو يستطيع أن يخدع ويختلف الوعد، وأن يحرق الأبرار في جهنم، ويأخذ الأشرار إلى الفردوس، وأن يصيب البريء الذي لا جرم له بسوء العاقبة، ويقرّب العاصين، كل ذلك جائز ولا مجال للإعتراض، لأنّ كلّ ما يفعله هو في ملكه وليس في ملك غيره، ولهذا ليس ظلماً وسلباً لحق. والغزالي يرتعش أمام هذا الربّ من خوف العاقبة، وهو شديد القلق

پس عوان که معدن این خشم گشت
خشم زشتش از سبع هم در گذشت
چه امیدستش به رحمت جز مگر
بازگردد زان صفت آن بی هنر
گرچه عالم را از ایشان چاره نیست
این سخن اندر ضلال افکندن نیست
چاره نبود هم جهان را از چمین
لیک نبود آن چمین ماء معین.^(١١٩)

لا يخفى على ذوي الاطلاع الفرق بين التفسير السيكولوجي للمولوي وبين التفسير الاجتماعي للغزالي، واتفاقهما على أنّ المبدأ والغاية إلهيان. وكذلك فإنّ في المتنوي أبياتاً يتحدث فيها المولوي عن اللعب المقلوب والذي هو في الحقيقة تعميم لمسألة الغفلة، ونحن نستكشف هنا عن نقل هذه الأبيات.

لننظر إلى حديث الغزالي في باب الفقه (وعموماً حول الحقوق والقانون) ودوره في هذا التحليل. فهو يعتبر الفقه على الأصول مجموعة من الأوامر والنواهي التي تنفع في فصل الخصومات، وتنظيم أمور المعيشة، وتعتبر مؤسسة اجتماعية. وهو يؤكد في كتاب «العلم» من مجلّد الإحياء الأول على منزلة الفقه هذه، ويبين أنّ العلوم الشرعية على قسمين: أصول وفروع. والفروع أيضاً على قسمين: إمّا تتعلق بمصالح الدنيا وإمّا تتعلق بمصالح الآخرة. الأول هو الذي يسمى فقهاً، والموكلون عليه هم الفقهاء الذين هم علماء الدنيا. ثم يقول في تحليل دنيوية الفقه: «فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء»^(١٢٠)؛ لكن تدخل الشهوات تؤدي إلى ظهور النزاع، لهذا تأتي الحاجة إلى السلطان والقانون، والفقيه هو الشخص العالم بالقانون. لاتصدق هذه المسألة في أحكام الجراحات والحدود والديات وفصل الخصومات فقط، بل تجري أيضاً في أحكام الصلاة والصيام والحلال والحرام، لأنّه هنا أيضاً يقضي على حسب الشروط الظاهرية في صحة العمل وفساده، ولهذا تتولد الحيل الشرعية وتصبح مباحة وسهلة. ورغم أنّ علم الفقه يقارب العلوم الأخروية ويؤخذ من مشكاة النبوة ولا يستغني عنه أي سالك، إلّا أنّ علم أحوال القلب كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والتقوى والغل والحقد والكبر

«الدرجة الأولى هي أن يعتمد الشخص المتوكل على الله، كاعتماده على وكيله. والثانية وهي أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى أحدٍ سواها ولا يعتمد إلا آياها... الثالثة وهي أعلاها أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه... وهذا الذي قوى يقينه بأنه مجري للحركة والقدرة والإرادة والعلم وسائر الصفات وأن كلاً يحدث جبراً فيكون بائناً عن الانتظار لما يجري عليه... وهذا المقام في التوكل يشمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقةً بكرمه وعنايته... ثم إذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبعد منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه إلا كصفرة الوجه... بل يكون صاحبها كالمبهوت»^(١٢٢).

وللمولوي:

هیچو کنعان پا زکشتی وامکش
که غرورش داد نفس زیرکش
که برآیم بر سر کوه مشید
منت نوحم چرا باید کشید
کاشکی او آشنا ناموختی
تا طمع در نوح وکشتی دوختی
کاش چون طفل از حیل جاهل بدی
تا چو طفلان چنگ در مادر زدی^(١٢٣)
زاولیا اهل دعا خود دیگرند
که همی دوزند و گاهی بردرند
قوم دیگر می شناسم زاولیا
که دهانشان بسته باشد از دعا
از رضا که هست خاص آن کرام
جستن دفع قضاشان شد حرام
در قضا ذوقی همی بینند خاص
کفرشان آید طلب کردن خلاص
حسن ظنی بر دل ایشان گشود
که نپوشند از غمی جامه کبود
چون قضای حق رضای بنده شد
حکم او را بنده خواهنده شد
بی تکلف نه پی مُزد و ثواب
بل که طبع او چنین شد مستطاب
پس چرا لابه کند او یا دعا
که بگردان ای خداوند، این قضا؟
پس چرا گوید دعا الا مگر
در دعا بیند رضای دادگر؟

والفزع على مستقبله المظلم، وعدم مبالاة الرب، حرّمه من الراحة والهدوء. ويروي الغزالي في موضعين من الإحياء حديثاً غريباً يتفق مع مذهبه ليفهم طريقة خوف العالمين من الله:

«وقد أوحى الله تعالى إلى داود، عليه السلام: خَفني كما تخاف السبع الضاري... فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم أنه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله آلاف مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثراً ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع...»^(١٢٤).

وأيضاً:

«... ولا يمكن أن تفهم الخوف منه في صفاته، جلّ جلاله، إلا بمثال لولا أذن الشرع لم يستجريء على ذكره ذو بصيرة، فقد جاء في الخبر أن الله تعالى أوحى إلى داود، عليه السلام: ياداد خفني كما تخاف السبع الضاري. فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى.. والحاصل أن السبع يخاف للجناية سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولأنه يفعل ما يفعل ولا يبالي.. بل أنت عنده أخس من أن يلتفت إليك.. ولله المثل الأعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة... إنه صادق في قوله: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي هؤلاء إلى النار ولا أبالي»^(١٢٥).

وهذه أبيات للمولوي اقتبسها من حديث الغزالي ذاك:

ای ز تو ویران دکان و منزل
چون ننام چون بیفشاری دلم؟
عاشقم من برفن دیوانگی
سیرم از فرهنگ و از فرزانیگی
چون بدرد شرم، گویم راز فاش
چند ازین صبر و زحیر و ارتعاش؟
در حیا پنهان شدم همچون سحاف
ناگهان بجهم ز زیر این لحاف
ای رفیقان راهها را بست یار
آهوی لنگیم و او شیر شکار
غیر تسلیم و رضا کو چاره ای
در کف شیر نری خونخواره ای؟
او ندارد خواب و خور چون آفتاب
روحهارا می کند بی خورد و خواب
که بیا من باش یا همخوی من
تا ببینی در تجلی روی من^(١٢٦)

آن شفاعت وان دعا نز رحم خود
می کند آن بنده صاحب رشد
رحم خود را او همان دم سوخته است
که چراغ عشق حق افروخته است
دوزخ اوصاف او عشق است و او
سوخت مر اوصاف خود را مو به مو^(۱۲۴)

ولايخفى أن المولوي يعتبر تاركي الدعاء، من الذين وصلوا
إلى مقام (وليس حال) الرضا، لكن الغزالي يبيح ترك الدعاء
لواجدي حال (وليس مقام) التوكل فقط، والذي يكون دوامه
بقدر دوام «صفرة الوجه».
والواقع أنه في هذا الحال فقط لا يبقى داع ولا دعاء، وإذا
مرّ على شفّيته دعاء فسيكون دعاء فاقد الواعي:
آن دعای بیخودان خود دیگر است
آن دعا زاو نیست گفت داور است
آن دعا حق می کند چون او فناست

آن دعا و آن اجابت از خداست^(۱۲۵)
ولكنّ هذا الحال لا يدوم، والعارف المتوكل يعود مرة أخرى
من الجمع إلى التفرقة ويدخل في الكثرة، وتجري عليه أحكام
مقام التفرقة. لهذا فإن الغزالي رغم قبوله مقام الرضا (وهو
التسليم للأمر بخلاف ما يهواه ويتمناه ويناله المحبّون لأجل
المحبوب وبفضله، ويصبح المكروه من المحبوب طيباً)، لا يراه
مناقضاً للدعاء ويعتقد: «إنّ الدعاء غير مناقض للرضا
ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا... فأما الدعاء فقد تعبّدنا
به»^(۱۲۶).

ومن هنا تنبعث المسألة الكلامية المعروفة: ألا يلزم التسليم
بالقدر الإلهي، الرضا بالمعاصي والفجور والكفر؟ ويجيب
الغزالي بصراحة: بأنّ هذا الاعتقاد ينتج عن «الجهل بالتأويل،
والغفلة عن أسرار الشرع». فالمسلم لا يستطيع ويجب ألا
يرضى بالمعقولات، بل واجبه أن يسعى في دفعها، ولا يرى
الغزالي تناقضاً بين الرضا بالقدر الإلهي وبين مقت القبايح
(التي تقع أيضاً بالقدر الإلهي)، لأنّ هذا المقت والرضا بالأمر
الواحد لا يتعلق بالوجه الواحد. فالفعل من حيث أنه منتسب
إلى الله مرضي، ومن حيث أنه فعل العبد منبوذ وممقوت. للمثال
نقول: إذا مات من هو عدو زيد، وعدو أحد أعداء زيد، فإنّ
زيداً سيكون راضياً من موته، وفي نفس الوقت غير راض،

وهاتان الحالتان تنبعثان من وجهي الحادثة.

«وكذلك المعصية لها وجهان، وجهٌ إلى الله تعالى من حيث أنّه
فعله واختياره وإرادته فيرضى به من هذا الوجه تسليماً للملك
إلى مالك الملك ورضاً بما يفعله فيه، ووجهٌ إلى العبد من حيث أنّه
كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتاً عند الله وبغضاً عنده، حيث
سلط أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكراً
ومذموماً»^(۱۲۷).

وهو نفس الحل الذي ارتضاه المولوي وأورده في المثنوي:
دی سؤالی کرد سائل مرمر
زانکه عاشق بود او برماجرا
گفت نكته الرضا بالكفر كفر
این یمبر گفت وگفت اوست مهر
باز فرمود او که اندر هر قضا
مرسلمان را رضا باید رضا
نی قضای حق بود كفر و نفاق؟
گربدين راضی شوم باشد شقاق
ورنیم راضی بود آن هم زبان
پس چه چاره باشدم اندرمیان؟
گفتمش این كفر، مقضی نی قضاست
هست آثار قضا این كفر راست
پس قضا را خواجه از مقضی بدان
تا شکالت حل شود اندرجهان
زشتی خط زشتی نقاش نیست
بلکه از وی زشت را بنمود نیست
قوت نقاش باشد آنکه او
هم تواند زشت کردن هم نكو
گر کشانم بحث این را من بساز
تا سؤال و تا جواب آید دراز
ذوق نكته عشق از من می رود
نقش خدمت نقش دیگر می شود^(۱۲۸)

وعلى أي حال نرى اختلافاً بين حديث الغزالي وحديث
المولوي، حول مسألة دعاء أهل الرضا، مع أنّ كليهما يعتقدان
بأنّه لا مجال للدعاء في منزل من منازل السلوك.

(١٦)

يرى الغزالي أنّ بعض الفنون كالشعر والموسيقى ليست
قبيحة ومنكرة في ذاتها، إنّما هي الوعاء القابل التي تجعلها

مذموماً في بعض الأحيان. فالشعر والموسيقى والسماع عاملاً
اثارة، ولا يعطيان من ذاتها شيئاً للمستمع. بل يثيران ما كان
عنده من قبل، ويقويان تخیلات ضميره، ويسترعيان انتباهه
إلى هذه التخیلات، فالأبرار يزدون برأ بالسماع، والفجار
والفاسدون الذين يغلب على قلوبهم الشر وطلب الفساد،
تتأجج بالشعر والسماع نار شهواتهم، وينزلقون وراء ضمايرهم
الفاصلة، ولذلك يجب ألا يروي أمام كل انسان شعر يتضمن
أوصاف المحبوب وجمال خده وخاله، وألا يسمع لكل شاب
غافل بحضور مجالس السماع:

وينقل عن أبي سليمان داراني أيضاً:

«وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن
الالتفات إلى الصور القبيحة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا
ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون
ويتواجدون وأكثر ذلك أوكله يرجع إلى نوع فساد... فإن المستمع
ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي على قلبه...»^(١٢٩)
وينقل عن أبي سلمان الداراني أيضاً:

«السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو
فيه»^(١٣٠).

إن هذا الرأي مع عدم النص على تحريم السماع، يشكل
أساس فتوى الغزالي، وهو أن السماع في الأساس حلال، وأن
بعض العوارض والخواص تجعله غير حلال. وهذا التعليل
لا يتعدى عند الغزالي هذا الحد، ولا يشمل مصاديق أخرى.
حتى إن الغزالي لا يبيح بأي وجه استعمال المزمار والعود والوتر
والربابة في السماع، ويحرم العزف على هذه الآلات والأوتار
كلية، لأن الضرب على الآلة عادة شارب الخمر، وصوته يدعو
إلى معاقرة الخمرة. وكل ما يختص بأهل الفسق ويؤدي إلى
التشبه بهم بالتبعية حرام. وحتى إذا عزف على العود والربابة
فخرج منها أصوات مزعجة، فإن سماعها عند الغزالي حرام
أيضاً فهو على أي حال يتضمن الضرب والاستماع إلى آلة
تفوح منها رائحة الفساد، لفرط مجالسة الفاسدين.

وقد تجاوز المولوي الغزالي: فهو يؤيد ذلك التعليل حول
الخمر أولاً، ولا يأبى عن سماع المزمار والربابة ثانياً، ويبينه
بناء على نفس التعليل كما يبدو، ويسمع عند ضرب الربابة
صوت افتتاح أبواب الجنة^(١٣١):

نه همه جا بی خودی شر می کند
بی ادب را می چنان تر می کند
گر بود عاقل نکوفر می شود
وربود بدخوی، بتر می شود
لیک اغلب چون بدند و ناپسند
برهه می را محرم کرده اند
حکم اغلب راست، چون غالب بدند
تیغ را از دست رهن بستند^(١٣٢)
لیک بد مقصودش از بانگ رباب
هیچو مشتاقان خیال آن خطاب
نالۀ سرنا و تهدید دهل
چیزکی ماند بدان ناقور کل
پس حکیمان گفته اند این لحنها
از دوار چرخ بگرفتیم ما
بانگ گردشهای چرخ است اینکه خلق
می سرایندش به طنبور و به حلق
مؤمنان گویند کاتار بهشت
نغز گردانید هر آواز زشت
پس غذای عاشقان آمد سماع
که دراو باشد خیال اجتماع
قوتی گیرد خیالات ضمیر
بلکه صورت گردد ازبانگ صغیر^(١٣٣)

وهذه هي التخیلات التي يقو بها عزف الربابة في الضمير:
هیچ می دانی چه می گوید رباب
زاشك چشم و از جگرهای کباب
پوستی ام دور مانده من زگوشت
چون تنالم در فراق و در عذاب؟
چوب هم گوید بدم من شاخ سبز
زین من بشکست و بدید آن رکاب
ما غریبان فراقیم ای شهان
بشنوید از ما: ای الله المآب
هم زحق رستم اول در جهان
هم بدو وامی رویم از انقلاب
خوش کمانچه می کشد کان تیر او
در دل عشاق دارد اضطراب
ترك ورومی وعرب گر عاشق است
همزبان اوست این بانگ صواب

الغزالي والمولوي

المعاملة، فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته. كُلِّ البقل من حيث يُؤْتى ولا تسأل عن المبقلة»^(١٣٩).
وأيضاً:

«فإن قلت فهذه الرؤيا محلها القلب أو العين في الآخرة فاعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه، بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة»^(١٤٠).

للمولوي:

ابلهان گویند این افسانه را
خط بکش زیرا دروغ است و خطا
ای برادر قصه چون پیمانه است
معنی اندر وی بسان دانه است
دانه معنی بگیرد مرد عقل
ننگرد پیمانه را گر گشت نقل
ماجرای بلبل و گل گوشدار
گرچه گفتمی نیست اینجا آشکار
گفت نحوی زید عمرواً قد ضرب
گفت چو نش کرد بی جرمی ادب؟
گفت این پیمانه معنی بود
گندمش بستان که پیمانه است رد^(١٤١)

(١٩)

للفزالي:

«فإن قلت فكيف يتوابع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع... فاعلم أن ذلك إنما يمكن بالتفكير في خطر الحاقمة. بل لو نظر إلى كافر لم يُمكنه أن يتكبر عليه، إذ يتصور أن يسلم الكافر فيُختم له بالايان ويضل هذا فيُختم له بالكفر...»^(١٤٢).

للمولوي:

هیچ کافر را بخواری منگرید
که مسلمان مردنش باشد امید
چه خبر داری زختم عمر او
تا بگردانی ازو یکباره رو؟^(١٤٣)

(٢٠)

للفزالي:

«... أما تتأملين؟ مذكم تعدین بنفسك وتقولين غداً غداً فقد جاء الغد وصار يوماً فكيف وجدته؟ أما علمت أن الغد الذي جاء

از برون شش جهت این بانگ خاست
کز جهت بگریز و رو از ما متاب^(١٣٤)

(١٧)

للفزالي:

«لأنَّ العشق التامَّ الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه مُتسعاً لغيره فمحبَّ الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه...»^(١٣٥).

وأيضاً:

«ومن حدَّ هذا العشق أنَّه لا يقبل الشركة وكلَّ ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة. إذ كلَّ محبوب سواء يتصور له نظيرٌ إمَّا في الوجود وإمَّا في الإمكان فأمَّا هذا الجبال فلا يتصور له ثانٍ لا في الإمكان ولا في الوجود»^(١٣٦).

للمولوي:

عاشقان را شادمانی و غم اوست
دستمزد و اجرتِ خدمت هم اوست
غیر معشوق از تهاشایی بود
عشق نبود هرزه سودایی بود
عشق آن شعله است کوچون بر فروخت
هرچه جز معشوق باقی جمله سوخت
تیغ لا در قتلِ غیر حق براند
درنگر زان پس که بعد لا چه ماند
ماند الا الله، باقی جمله رفت
شاد باش ای عشق شرکت سوز رفت
خود هم او بود اولین و آخرین
شرک جز ازبیده احوال مبین^(١٣٧)
شمس در خارج اگرچه هست فرد
مثل آن هم می توان تصویر کرد
لیک شمسی که ازوشد هست اثیر
نبودش در ذهن و در خارج نظیر
در تصوّر ذات او را گنج کو؟
تا درآید در تصوّر مثل او^(١٣٨)

(١٨)

للفزالي:

«فإن قلت فالداعي إلى المعاصي المختلفة شيطانٌ واحدٌ أو شياطين مختلفون؟ فاعلم أن لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في

الغزالي والمولوي

هین وهین ای راهرو بیگاه شد
آفتاب عمر سوی چاه شد
هین مگو فردا که فرداها گذشت
نا بکلی نگذرد ایام کشت
پند من بشنو که تن بند قویست
کهنه بیرون کن گرت میل نویست^(۱۴۵)

وصار يوماً كان له حكم الأمس، لا بل الذي تعجزين عنه اليوم
فأنت غداً عنه أعجز وأعجز لأن الشهوة كالشجرة الراسخة
التي تعبد العبد بقلعها، فإذا عجز العبد عن قلعها للضعف
وأخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فأخرها
إلى سنة أخرى، مع العلم بأن طول المدة يزيد الشجرة قوة
ورسوخاً ويزيد القالع ضعفاً وهناً...»^(۱۴۴).

للمولوي:

ای خنک آن را که او ایام پیش
مغتنم دارد گزارد وام خویش
اندر آن ایام کیش قدرت بود
صحت و زور دل و قوت بود
پیش از آن کایام پیری در رسد
گردنت بندد به حبل من مسد
هیچو آن مرد درشت خوشست سخن
در میان ره نشاند او خاربن
ره گذرانش ملامتگر شدند
بس بگفتندش بکن آن را نکنند
هردمی آن خاربن افزون شدی
پای خلق از زخم آن پرخون شدی
جامه های خلق بدیدی زخار
پای درویشان بختی زارزار
چون به جد حاکم بدو گفت این بکن
گفت آری برکنم روزیش من
مدتی فردا و فردا وعده داد
شد درخت خار او محکم نهاد
گفت روزی حاکمش ای وعده کز
پیش آدر کارما واپس مغر
گفت الایام یا عم بیننا
گفت عجل لأتأطل دیننا
تو که می گویی که فردا این بدان
که به هر روزی که می آید زمان
آن درخت بد جوانتر می شود
وین کننده پیرو مضطر می شود
او جوانتر می شود تو پیرتر
زودباش و روزگار خود مبر
خاربن دان هر یکی خوی بدت
بارها دریای، خار آخر زدت

(۲۱)

ویدو أن المصدر الوحيد للحکاية عليّ (ع) مع عمرو بن
عبدود التي وردت في آخر الدفتر الأول من المثنوي، هو كتاب
کیمیای سعادت للغزالي. وقد أضاف المولوي كعاداته مسائل
کثيرة إلى هذه الحکاية، واستنبط كثيراً من النکات الظریفه
والحکم منها. يقول الغزالي:

«... وهكذا أهوى عليّ (رض) على الكافر ليقنته، فيصق
الكافر في وجهه فكف عنه ولم يقتله، وقال: غضبت، فخفت ألا
يكون قتلي آية في سبيل الله»^(۱۴۶).

للمولوي:

از علی آموز اخلاص عمل
شیر حق را دان منزه از دغل
در غزا بر بهلوانی دست یافت
زود شمشیری بر آورد و شتافت
او خدو انداخت بر روی علی
افتخار هر نبی و هر ولی
در زمان انداخت شمشیر آن علی
کرد او اندر غزایش کاهلی
گشت حیران آن مبارز زین عمل
از نمودن عفو و رحم بی محل
گفت بر من تیغ تیز افراشتی
از چه افکندی مرا بگذاشتی؟
گفت من تیغ از پی حق می زنم
بنده حقم نه مأمور تنم؟
چون خدو انداختی بر روی من
نفس جنبید و تبه شد خوی من
نیم بهر حق شد و نیمی هوا
شرکت اندر کار حق نبود روا^(۱۴۷)

يوجد في إحياء علوم الدين والمنتوي مواضيع مشتركة كثيرة
نورد بعضها مفهراً فيا يلي:

شياطين الإنس (۳: ۳۹۶)، الطواهر المزيّنة والبواطن
الخبئة (۳: ۳۹۰)، ذكر الله والتفكر في جلاله (۳: ۲۳۷)، إنّما
الغنى غنى النفس، وليس كثرة العرض (۳: ۲۳۸)، لزوم
المجاهدة والتعب الشديد المستمر (۳: ۶۹)، ما من إنسان إلّا
وفي باطنه فرعون (وموسى) (۳: ۲۸۱)، أهمية الحال في إزاء
المقال (۳: ۲۷۶)، فعل العبد وفعل الله، ومراتب وجودها،
والإنتباه إلى مارميت إذ رميت ولكن الله رمى (۳: ۳۷۲) و (۱: ۲۹۳، ۲۸۳)، يجب عدم إفشاء الأسرار وبعض الحالات
لا يمكن الفصح عنها (۴: ۲۴۸ و ۴: ۹۷)، شهادة جميع
حركاتنا وسكناتنا على وحدانية الله (۴: ۳۲۱)، كون العالم كلّ
جميل، واستفادة كل مدرك للجمال من جمال الله (۴: ۳۴۸)،
زوال المحبة التي تبنى على الطمع (۴: ۳۶۰)، لن يكون الأمر
مع الكرماء صعب (۴: ۴۲۳)، الغناء عن النفس في مشاهدة
الله، وغلبة سكر المحبة والوصول إلى الغناء (۲: ۲۹۱)، تشبيه
المال بالماء (۴: ۱۹۲)، معرفة النور من ضده (۴: ۳۲۱)، نفع
الآلام والشقاء ودورها في إزالة الغفلة (۴: ۲۸۹)، انجذاب كلّ
جنس بجنسه (۴: ۲۶۳)، تفاوت العقول منذ نشأتها (۱: ۸۸)،
غفلة السالك عن الماضي والمستقبل (۴: ۴۲).

ومن الاختلافات الفكرية البارزة بين المولوي والغزالي
تعارضهما حول شطحيات العرفاء وقول منصور الحلاج «أنا
الحق»، فيرى الغزالي أنّ قول أنا الحق، «خطأ بعينه» ويشبه
ادّعاء النصارى حول المسيح (۲: ۲۹۱)، في حين أنّ المولوي
يؤيد شطحيات بايزيد والحلاج ويفسّرهما، وأبيات المولوي
التالية تتضمّن هذه المواضيع بالترتيب:

چون بسی ابليس آدم روی هست

پس به هر دستی شاید داد دست

ظاهره چون گورکافر پر حلل

واندرون قهر خدا عزوجل

این قدر گفتم باقی فکر کن

فکر اگر جامد بود رو ذکر کن

شاه آن باشد که از خود شه بود

نی به مخزنها و لشکر شه شود

این طالب کاری مبارک جنبشی ست
این طلب در راه حق مانع کشی ست
موسی و فرعون در هستی تست
باید این دو خصم را درخویش جست
ما برون را ننگریم و قال را
بل درون را بنگریم و حال را
گر بپرانیم تیر آن نی زماست
ماکبان و تیراندازش خداست
مارمیت إذ رمیت گفت حق
کاراو بر کارها دارد سبق
مارمیت إذ رمیت خوانده ای
لیک جسمی در تجزی مانده ای
تا نگویی سر سلطان را به کس
تانریزی قندرا پیش مگس
تا به دریا سیراسب و زین بود
بعد از آنت مرکب چوبین بود
این خموشی مرکب چوبین بود
بحریان را خامشی تلقین بود
جنبش ما هر دمی خود اشهدست
که گواه ذو الجلال سرمدست
جنبش سنگ آسیا در اضطراب
أشهد آمد بوجود جوی آب
هر کسی پیش کلوخی سینه چاک
کان کلوخ از حسن آمد جرعه ناک
باده خاک آلودتان مجنون کند
صاف اگر باشد ندانم چون کند
عشقهای کز پی رنگی بود
عشق نبود عاقبت رنگی بود
هین مگو مارا بدان، شه بار نیست
باکریمان کارها دشوار نیست
چون زبانه شمع پیش آفتاب
نیست باشد، هست باشد در حساب
پیش شیری آهوی مدهوش شد
هستیش در هست او روپوش شد
مال را کز بهر دین باشی حمل
نعم مال صالح خوانده رسول
آب در کشتی هلاک کشتی است
آب اندر زیر کشتی پستی است

المصادر والهوامش:

- ١ - هذا الاقتباس عن كلام علي، عليه السلام، عند الحديث عن مؤمن: «وكان يُعظّمه في عيني صغر الدنيا في عينه». نهج البلاغة، ج ٦، الكلمة ٢٨١.
- ٢ - أنظر: إحياء العلوم، ج ١ / كتاب العلم، ج ٣ / كتاب ذم الغرور.
- ٣ - أخذ عن الخاقاني:
قفل أسطورة أرسطو را بر در أحسن الملل منهید
نقش فرسوده فلاتون را بر طراز بهین نحل منهید
- ٤ - راجع إحياء العلوم، ج ١ / كتاب العلم، ج ٣ / كتاب ذم الغرور، (بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٣).
- ٥ - ن. م. ج ٣ / كتاب ذم الغرور، ج ١ / كتاب العلم، آفات المناظرة، ج ١.
- ٦ - ن. م. ج ٣ / كتاب ذم الغرور، ج ١ / كتاب العلم: بيان ما بَدَل من ألفاظ العلوم.
- ٧ - ن. م. ج ٢ / كتاب آداب السفر، ص ٢٥٠: «... والأُمُور الدنيئة كلها قد فسدت وضعفت إلا التصوّف فإنه قد انمحق بالكلية وبطل».
- ٨ - أنظر: مناقب العارفين، شمس الدين أحمد الأفلاكي، تصحيح تحسين البازنجي، ج ١، ص ١٠١ - ١٠٢.
- ٩ - حديث الغزالي لأبي بكر بن وليد القرشي، عندما طلب منه في الشام أن يناظره: «تركناه لصيبة في العراق». (غزالي نامه، الاستاذ همامي، ص ١٦٦ نقله عن مرآة الجنان، للياضي).
- ١٠ - أنظر: تعريف الإحياء بفضائل الأحياء، لعبد القادر عيدروس، ملحق المجلد الأول لإحياء العلوم، ص ١٢، طبعة بيروت، ١٩٨٣.
- ١١ - اقتبس من رباعية لمولوي:
زاهد بودم ترانه گویم کردی
میخواره بزم و باده خویم کردی
سجاده نشین باوقاری بودم
بازیچه کودکان کویم کردی
- ١٢ - اقتبس من بيت لمولوي:
موسيا آداب دانان ديگرند سوخته جان و روانان ديگرند
وعن حكاية وردت في مناقب العارفين لشمس الدين أحمد الأفلاكي، ج ١، ص ٤٧١.
- ١٣ - «إذا الأنبياء والأولياء انكشفت لهم الأمور وسعدت نفوسهم بنيل كماها الممكن لها، لا بالتعلم بل بالزهد في الدنيا والإعراض والتبرّي عن علائقها والإقبال بكل الهمة على الله تعالى. فمن كان لله كان الله له حتى أنه في الوقت الذي صدقت فيه رغبتي لسلوك هذا الطريق، شاورت متبوعاً مقدماً من الصّوفية في المواظبة على تلاوة القرآن فَمَنَعَنِي وقال: السبيل أن تقطع علائقك من الدنيا بالكلية بحيث لا يلتفت قلبك إلى أهل وولد ومال ووطن وعلم وولاية... ثم تخلو بنفسك في زاوية...». ميزان العمل، للغزالي، ص ٢١٢، تحقيق ومقدمة الدكتور سليمان الدنيا، دار المعارف، بمصر، ١٩٦٤.

پس به ضدّ نور دانستی تو نور
ضدّ ذرا می نباید در صدور
دردها بخشید حق از لطف خویش
تا نخسبم جمله شب چون گاو میش
ذره ذره کاندیرین ارض و سیاست
جنس خود را همچو کاه و کهرباست
اختلاف عقلها از اصل بود
بر وفاق سنّیان باید شنود
بر خلاف قول اهل اعتزال
که عقول از اصل دارند اعتدال
هست هشیاری زیاد مامضی
ماضی و مستقبلت پرده خدا
آتش اندرزن بهر دوتابکی
پرگره باشی از این دو همچونی؟
صبغة الله چیست؟ خم رنگ هو
پیسها یک رنگ می گردد در او
چون در آن خم افتد و گویش قم
گویدت بی شک منم خم لا تلّم
این «منم خم» خود أنا الحق گفتن است
رنگ آتش دارد اما آهن است
گفت فرعونى أنا الحق گشت پست
گفت منصورى أنا الحق و برست
با مریدان آن فقیر محتشم
بایزد، آمد که یزدان نک منم
گفت مستانه عیان آن ذوفنون
لا اله إلا أنا، ها فاعبدون
مست گشت او بازار آن سفراق زفت
آن وصیتهاش از خاطر برفت
عقل را سیر تحریر در ربود
زان قویتر گفت کاول گفته بود
نیست اندر جبه ام الا خدا
چند جویی در زمین و در سما؟
نقش او فانی و او شد آینه
غیر نقش روی غیر آنجای نه
لب ببند ارچه فصاحت دست داد
دم مزن، والله أعلم بالرشاد
نسأل الله التّسديد وحسن العاقبة ونصلي ونسلم على محمد
وآله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الغزالي والمولوي

۱۴ -

اخذت بأعضادهم اذ ونوا وخلفك الجهد اذ سرعوا
واصبحت تهدي ولا تهدي وتسمع وعظاً ولا تسمع
فيا حجر الشحذ حتى متى تسن الحديد ولا تقطع
(مقدمة الخاف السادة المتقين بشرح أسرار علوم الدين، القاهرة ۱۳۱۱ق).

۲۰ -

باده غمگینان خورند وما ز می خوشدل تریم
رو به محبوسان غم ده ساقیا افیون خویش
خون ما بر غم حرام و خون غم بر ما حلال
هر غمی کو گرد ما گردید شد در خون خویش
(دیوان شمس، ج ۳، ص ۹۸)

۱۵ -

ای رستخیز ناگهان وی رحمت بی منتها
وی آتش افروخته در پیشه اندیشه ها
(دیوان شمس التبریزی، الغزل الأول)

۲۱ -

می ده گزافه ساقیا تا کم شود خوف و رجا
گردن یزن اندیشه را ما از کجا او از کجا
امروز مهملان توام مست و پریشان توام
پرشد همه شهر این خبر کامروز عیش است، الصلا
(دیوان شمس، ج ۱، ص ۲۷)

۱۶ -

ترس مویی نیست اندر پیش عشق
جمله قربانند اندر کیش عشق
عشق وصف ایزد است اما که خوف
وصف بنده مبتلای فرج وجوف
زاهد با ترس می تازد به پا
عاشقان پیران تر از باد صبا
کی رسند این خائفان در گرد عشق
کاسان را پست سازد درد غسق
وایضاً:

۲۲ -

مادرم بخت بدست و پدرم جود و کرم
فرح بن الفرّح بن الفرّح بن الفرّح
مرد غم در فرحش که جبر الله عزاک
آن چنان تبغ چگونه نزن گردن غم؟
(دیوان شمس، ج ۴، ص ۹)

۲۳ -

می وسلم بچشان تا در زندان ابد
از سر عربده مستانه به هم درشکنم
(من غزل ينسب إلى المولوي)

۲۴ -

در چنین مستی مراعات ادب
خود نباشد ور بود باشد عجب
جمع صورت با چنان معنای ژرف
نیست ممکن جز ز سلطان شگرف
(المثنوي، الدفتر الثالث، في بيان خلّو الصحابة من حافظ للقرآن)

۲۵ -

يك زمان بگذار، ای همره ملال
تا بگویم وصف خالی زان جمال
در بیان ناید جمال حال او
هر دو عالم چیست عکس خال او
چونکه من از خال خویش دم زنم
نطق می خواهد که بشکافد تنم
(المثنوي، الدفتر الثاني، كلام الله مع الملائكة)

۱۷ -

جان من بستان توای جان را اصول
زانکه بی توگشته ام از جان ملول
عاشقم من برفن دیوانگی
سیرم از فرهنگ واز فرزانیگی
(المثنوي، الدفتر السادس)

۱۸ - مناقب العارفين، ج ۱، ص ۲۲۰، أنظر أيضاً: ج ۱، ص ۴۶۶ - ۴۶۷.

۱۹ -

فراخ تر ز فلک گشت سینه تنگم
لطیف تر ز قمر گشت چهره زردم
شرابخانه عالم شده است سینه من
هزار رحمت بر سینه جوانمردم
(دیوان شمس، ج ۴، ص ۵۶)

۲۶ - ومن عرف ضعف نفسه وعجزه... علم انه لم يقو عليه (أي نفى العجب) بنفسه بل بالله تعالى... ومن آمن مكر الله فهو خاسر جداً بل سبيله أن يكون مشاهداً جملة ذلك من فضل الله... ويكون خائفاً... غير آمن مكر الله ولا غافل عن خطر الحاجة. وهذا خطر لا يحصى عنه وخوف لانجاة منه إلا بعد جاوزة الصراط... فذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله أبداً. فنسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الحاجة فإن الأمور بخواتيمها. (الإحياء،

الغزالي والمولوي

٣٣ -

پوزبند وسوسه عشق است و بس
ورنه کی وسواس را بسته است کس؟
(المثنوي، الدفتر الخامس، قصة الجبري مع مؤمن من أهل السنة)
٣٤ - أنظر مثلاً: الإحياء، ج ٤ / كتاب التوحيد والتوكل، ص ٢٥٤
وبعدها.

٣٥ -

لفظ جبرم عشق را بی صبر کرد
وانکه عاشق نیست حبس جبر کرد
این معیت با حق است وجبر نیست
این تجلی مه است، این ابر نیست
ور بود این جبر جبر عامه نیست
جبر آن آماره خودکامه نیست
(المثنوي، الدفتر الأول، حكاية عمر وموفد البيزانس)

٣٦ -

گر شوم مشغول اشکال و جواب
تشنگان را چون توانم داد آب
(المثنوي، الدفتر الأول، قصة الأعراي والخليفة)

٣٧ -

فلسفی منکر شود در فکر وظن
گو برو سررا بدان دیوار زن
هر که را در دل شک و بیجانی است
در جهان او فلسفی پنهانی است
فلسفی کو منکر حنانه است
از حواس انبیا بیگانه است
بیشتر اصحاب جنت اینهنند
تا ز شرّ فیلسوفی می رهند
(المثنوي، الدفتر الأول)

٣٨ - مناقب العارفين، ج ١، ص ٤٩٧.

٣٩ -

هر که محراب نمازش گشت عین
سوی ایمان رفتنش میدان توشین
هر که شدمر شاه را او جامه دار
هست خسران بهر شاهش آتجار
هر که با سلطان شود او همنشین
بر درش شستن بود حیف و غبین
دست بوسش چون رسید از پادشاه
گر گزیند بوس پا باشد گناه
(المثنوي، حكاية البغاء والتاجر، ويمكنك الرجوع إلى رقم ١٨ من هذا
الهامش)

٤٠ -

خرده کاریهای علم هندسه
یا نجوم و علم طب و فلسفه

٣ / كتاب ذم الغرور، ص ٤١٤) وأيضاً: «فالذي يرفع محمداً، صلى الله عليه وسلم، إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع أبا جهل في أسفل السافلين من غير جنابة سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف منه صفة جلاله... وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جنابة ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل، ووراء هذا المعنى سر القدر لا يجوز إفشاؤه...» (الإحياء، كتاب الخوف والرجاء، ص ١٥٩).

٢٧ - «... ولعل ما أودعناه هذا الكتاب (إحياء علوم الدين) أن تعلمه المتعلم... يرجي أن ينجز به في آخر عمره فإنه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا» (الإحياء، ج ٢ / كتاب آفات العزلة، ص ٢٣٧).

٢٨ - «وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهله الخلق... ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر... والخلوة في بيت مظلم تسد أبواب الحواس والتجرد عن الأهل والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقي مع ذلك مداخل باطنة في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم أنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر له إلا الموت اذلا يتخلص أحد من الشيطان مادام حياً...» (الإحياء، ج ٣ / كتاب شرح عجائب القلب، ص ٣٠).

٢٩ - «... لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها الكتب...» (الإحياء، ج ١، ص ٣-٤).

٣٠ - «... ومنها (ثمرات اليقين) أن يكون حزيناً منكسراً مطرقاً صامتاً يظهر الخشية على هيأته وكسوته وسيرته وحرركته وسكونه ونطقه وسكوته... وأما التهافت في الكلام والتشديق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة من عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به.» (الإحياء، ج ١ / كتاب العلم، ص ٧٥).

٣١ - أنظر مثلاً: الإحياء، ج ١ / الفصل الثالث من قواعد العقائد عند البحث عن كلام الله.

٣٢ -

هر که را جامه زعشقی چاک شد
او زحرص و عیب، کلی پاک شد
مرحبا ای عشق خوش سودای ما
ای طبیب جمله علتهای ما
(المثنوي، الدفتر الأول، المقدمة)

الغزالي والمولوي

- ٦٢ - ن. م. ج ٢ / كتاب آداب السفر، ص ٢٤٦.
- ٦٣ - ن. م. ج ١ / كتاب قواعد العقائد، ص ١٠٣.
- ٦٤ - المثنوي، الدفتر الثالث، قصّة صياد الأفاعي.
- ٦٥ - الإحياء، ج ١ / كتاب قواعد العقائد، ص ١١١.
- ٦٦ - المثنوي، الدفتر الأول، قصّة رسول قيصر وعمر. إن كلام المولوي عن الجبر والتفويض يضمّ قسماً كبيراً من المثنوي واهتمام المولوي بهذه المسألة يدلّ على أشعريته ودفاعه عن التفويض تجاه تهمة الجبر، وأيضاً يدلّ على الأخذ من آثار الغزالي الذي بدوره اهتم كثيراً بهذه المسألة، ويدلّ على أنّ هذه المسألة هي مشكلة جميع العرفاء الذين يريدون أن يجمعوا بين الغناء والتوحيد والتوكل والتفويض.
- ٦٧ - الإحياء، ج ١ / كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل، ص ٣٣٦.
- ٦٨ - ن. م. ج ٤ / كتاب المحبة والشوق والإنس والرّضا، ص ٣٠١.
- ٦٩ - ن. م. ج ٤ / كتاب المحبة والشوق والإنس والرّضا، ص ٣١٧.
- ٧٠ - المثنوي، الدفتر الثاني، قصّة لقمان والحواجه.
- ٧١ - الإحياء، ج ٢ / كتاب آداب السفر، ص ٢٤٧.
- ٧٢ - المثنوي، الدفتر الثالث، حكاية صياد الأفاعي والتنين.
- ٧٣ - الإحياء، ج ٢ / كتاب آداب العزلة، ص ٢٢٨.
- ٧٤ - ن. م. ج ٣ / كتاب دَم الغرور، ص ٣٩٦.
- ٧٥ - المثنوي، الدفتر الرابع، حكاية سليمان وبلقيس.
- ٧٦ - الإحياء، ج ٤ / كتاب المحبة والشوق والإنس والرّضا، ص ٣١٤.
- ٧٧ - ن. م. ج ٤ / كتاب الخوف والرجاء، ص ١٧٧ - ١٧٨.
- ٧٨ - المثنوي، الدفتر الثالث، ظهور حمزة (رض) في الحرب حاسراً.
- ٧٩ - الإحياء، ج ٢ / كتاب آداب النكاح، ص ٢٤ - ٢٥.
- ٨٠ - المثنوي، الدفتر الأول، حكاية الأسد والوحوش.
- ٨١ - الإحياء، ج ٣ / كتاب شرح عجائب القلب، ص ١٨.
- ٨٢ - ن. م. ج ٣ / كتاب دَم الكبر والعجب، ص ٣٤٨.
- ٨٣ - ن. م. ج ٣ / كتاب دَم الغرور، ص ٣٩٥.
- ٨٤ - المثنوي، الدفتر الرابع، في تفسير الحديث النبوي: «إن الله تعالى خلق الملائكة...».
- ٨٥ - ن. م. ج ٣ / الدفتر الثالث، حال الأعمى الذي يرى البعيد والأطرش الذي يسمع جيداً.
- ٨٦ - ن. م. ج ٤ / الدفتر الخامس، قصّة الحكيم والطاوس.
- ٨٧ - الإحياء، ج ١ / كتاب العلم، ص ٥٥.
- ٨٨ - ن. م. ج ١ / كتاب العلم.
- ٨٩ - ن. م. ج ١ / كتاب قواعد العقائد، ص ٩٧.
- ٩٠ - ن. م. ج ٤ / كتاب الخوف والرجاء، ص ١٧٥ - ١٧٦.
- ٩١ - المثنوي، الدفتر الخامس، حكاية الحكيم والطاوس.
- ٩٢ - ض. م. الدفتر السادس، قصّة الفقير الذي يبحث عن الكنز.
- ٩٣ - ن. م. الدفتر السادس، حكاية المسلم واليهودي والمسيحي.
- ٩٤ - ن. م. الدفتر الرابع، قصّة نمو شجرة الخروب في زاوية المسجد الأقصى.
- ٩٥ - ن. م. الدفتر الأول، في بيان أنين الحنّانة من فراق الرّسول (ص).
- كه تعلق با همين دنبي ستش
ره به هفتم آسمان بر نيستش
اين همه علم بنای آخوست
كه عماد بود گاو و اشترست
علم راه حق و علم منزلش
صاحب دل داند آن را يا دلش
(المثنوي، الدفتر الرابع، عند تفسير الحديث النبوي «إن الله تعالى خلق الملائكة»)
- ٤١ - يقول المولوي في الدفتر الأول على لسان البطل الذي بصق في وجه الإمام علي، عليه السلام:
ياتو واگو آنچه عقلت يافته است
يابگويم آنچه بر من تافته است
از تو بر من تافت چون داری نهان؟
می فشانی نور چون مه بی زبان
ليك اگر در گفست آيد قرص ماه
شروان را زود تر آرد به راه
ماه بی گفتن چو باشد رهنما
چون بگويد شد ضيا اندر ضيا
(المثنوي، الدفتر الأول، بصق العدو في وجه الإمام علي عليه السلام)
- ٤٢ - أحاديث مثنوي، بديع الزمان فروزانفر، الطبعة الثانية، انتشارات أمير كبير، ١٣٤٧ش، مأخذ قصص وتنبيلات مثنوي، بديع الزمان فروزانفر، الطبعة الثانية، انتشارات أمير كبير، ١٣٤٧ش.
- ٤٣ - الإحياء، ج ١ / كتاب العلم، ص ٣٠.
- ٤٤ - المثنوي، الدفتر الخامس.
- ٤٥ - ن. م. الدفتر السادس.
- ٤٦ - ن. م. الدفتر الخامس.
- ٤٧ - الإحياء، ج ١، ص ٣٠.
- ٤٨ - المثنوي، الدفتر السادس.
- ٤٩ - ن. م.
- ٥٠ - الإحياء، ج ١ / آداب المتعلّم والمعلّم، ص ٥١.
- ٥١ - المثنوي، الدفتر الأول، البيّاع والتاجر.
- ٥٢ - ن. م. الدفتر الأول، حكاية الدرويش والمرأة.
- ٥٣ - ن. م. الدفتر الثاني، طعن غريب للشيخ.
- ٥٤ - ن. م. الدفتر الثاني، حديث عائشة مع النبي (ص)، والفأرة وسحب زمام الناقة.
- ٥٥ - ن. م. الدفتر الثاني، تهكم الصوفية عند الشيخ على ذلك الصوفي.
- ٥٦ - الإحياء، ص ٨٢.
- ٥٧ - ن. م. ج ٤ / كتاب النية والإخلاص والصدق، ص ٣٦٩ - ٣٧٠.
- ٥٨ - المثنوي، الدفتر الرابع، نمو شجرة الخروب في زاوية المسجد الأقصى.
- ٥٩ - الإحياء، ج ١ / كتاب العلم، ص ٨٧ وأيضاً ج ٣، ص ١٧.
- ٦٠ - المثنوي، الدفتر الثاني، المشيخ خضروية وشراء الحلوى.
- ٦١ - الإحياء، ج ٤، كتاب التوحيد والتوكل، ص ٢٤٨.

الغزالي والمولوي

- ٩٦ - الإحياء ج ٣ / كتاب شرح عجائب القلب، ص ١٩ - ٢٠.
- ٩٧ - المثنوي، الدفتر الثاني، نصيحة الصوفي للخادم.
- ٩٨ - ن. م. الدفتر الثاني، حكاية الرجل الأحق والدب.
- ٩٩ - ن. م. الدفتر الأول، في بيان اضمار حال النفس وسكرها.
- ١٠٠ - الإحياء، ج ٣ / كتاب شرح عجائب القلب، ص ٢٠.
- ١٠١ - المثنوي، الدفتر السادس، بيان أستمدار العارف من منبع الحياة الأبدية.
- ١٠٢ - ن. م. الدفتر الرابع، مدح العقلاء من قبل النبي.
- ١٠٣ - الإحياء، ج ٣ / كتاب ذم الدنيا، ص ٢٢٧.
- ١٠٤ - ن. م. ج ٣ / كتاب ذم الجاه والرياء، ص ٢٨٢: «لأن في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية...».
- ١٠٥ - ن. م. ج ٢ / كتاب الحلال والحرام، ص ١٠٩.
- ١٠٦ - ن. م. ج ٣ / كتاب ذم الجاه والرياء، ص ٣٢٦ - ٣٢٧.
- ١٠٧ - ن. م. ج ٣ / كتاب ذم الغرور، ص ٤١٣.
- ١٠٨ - ن. م. ج ٤ / كتاب المحبة، ص ٣٣٧.
- ١٠٩ - المثنوي، الدفتر الأول، قصة «بير جنكي».
- ١١٠ - ن. م. الدفتر السادس، قصة الغريب المديون، إن المرحوم فروزانفر في كتاب «أحاديث مثنوي» بعد ذكر هذه الأبيات، ينقل الحديث التالي ويقول إن هذه الأبيات متناسبة مع هذا الحديث «لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوة أبداً ولا شربتم شرباً على شهوة أبداً ولا دخلتم بيتاً تستظلون به ولمررتهم إلى الصعدات تدمون صدوركم وتكون على أنفسكم» (أحاديث مثنوي، ص ٢١٦)؛ لكن المطلع على كتابات الغزالي يعلم أن تلك الأبيات، قبل أن تحتوي على مضمون هذا الحديث، تحتوي على نفس ألفاظ وأفكار الغزالي.
- ١١١ - المثنوي، الدفتر الرابع، قصة بناء المسجد الأقصى من قبل سليمان.
- ١١٢ - ن. م. الدفتر الرابع، في تمثيل الدنيا بالأتون، والتقوى بالحمام، والمترفون لجمالة السرجين.
- ١١٣ - ن. م. الدفتر السادس.
- ١١٤ - ن. م. الدفتر الرابع، سؤال رجل من عيسى (ع).
- ١١٥ - الإحياء، ج ١ / كتاب العلم، ص ١٧.
- ١١٦ - المثنوي، الدفتر الأول، حكاية الرجل النحوي في السفينة.
- ١١٧ - «فلا يتقدم متقدّم ولا يتأخر متأخر إلا بالحق والرزق، وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولو لا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثاً يضاهي فعل المجانين، تعالى الله عن قول الجاهلين علواً كبيراً» (الإحياء، ج ٤ / كتاب التوحيد والتوكل، ص ٢٥٥).
- ١١٨ - المثنوي، الدفتر الخامس، حكاية الجبري ومؤمن من أهل السنة.
- ١١٩ - الإحياء، ج ٣ / كتاب ذم الغرور، ص ٣٨٩.
- ١٢٠ - ن. م. ج ٤ / كتاب الخوف والرجاء، ص ١٥٩ - ١٦٠، أبو الفضل عبد الرحيم العراقي الذي جمع أسناد أحاديث إحياء العلوم في كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في
- الأحياء من الأخبار، يقول عن هذا الحديث الذي مضمونه: «إنّي لم أجد له أصلاً، ويمكن أن يكون مقصود الغزالي أن هذا الخبر من الإسرائيليات، إن المرحوم فروزانفر لم يشر أيضاً إلى هذه الأبيات وإلى اقتباس المولوي من هذا الحديث المتّحل في كتابه «أحاديث مثنوي».
- ١٢١ - المثنوي، الدفتر السادس، مناظرة الطير والصياد.
- ١٢٢ - الإحياء، ج ٤ / كتاب التوحيد والتوكل، ص ٢٦١ - ٢٦٢.
- ١٢٣ - المثنوي، الدفتر الرابع، قصة نمو شجرة الخروب في زاوية لمسجد الأقصى.
- ١٢٤ - ن. م. الدفتر الثالث، صفة بعض الأولياء الراضين بأحكام القدر.
- ١٢٥ - ن. م. ج ٣، قصة الدقوقي.
- ١٢٦ - الإحياء، ج ٤ / كتاب المحبة، ص ٣٥١.
- ١٢٧ - ن. م. ج ٤، ص ٣٥٢، وج ٢ / كتاب آداب النكاح، ص ٢٥: «أما الكفر والشر فلا نقول إنه مرضي ومحبوب بل هو مراد...».
- ١٢٨ - المثنوي، الدفتر الثالث، التوفيق بين هذين الحديثين اللذين...
- ١٢٩ - الإحياء، ج ١ / كتاب العلم، ص ٣٥ - ٣٦.
- ١٣٠ - ن. م. ج ٢ / كتاب آداب السماع والوجد، ص ٢٧٥.
- ١٣١ - أنظر مناقب العارفين، ج ١، ص ٤٨٣ - ٤٨٤.
- ١٣٢ - المثنوي، الدفتر الرابع، بيان سبب الفصاحة.
- ١٣٣ - ن. م. سبب هجرة إبراهيم الأدهم.
- ١٣٤ - ديوان شمس، غزل ٣٠٤.
- ١٣٥ - الإحياء، ج ٤ / كتاب التفكير، ص ٤٢٨.
- ١٣٦ - ن. م. ج ٢، كتاب آداب السماع والوجد، ص ٢٨٠.
- ١٣٧ - المثنوي، الدفتر الخامس، في معنى حديث «لا رهبانية في الإسلام».
- ١٣٨ - ن. م. الدفتر الأول، قصة الملك والجارية.
- ١٣٩ - الإحياء، ج ٣ / كتاب شرح عجائب القلب، ص ٣٨.
- ١٤٠ - ن. م. ج ٤، كتاب المحبة، ص ٣١٥.
- ١٤١ - المثنوي، الدفتر الثاني، تهكم الصوفيّة عند الشيخ على ذلك الصوفي.
- ١٤٢ - الإحياء، ج ٣ / كتاب ذم الكبر والعجب، ص ٣٦٤، إن المرحوم فروزانفر قد أورد حديثين يتناسبان مع مضمون هذين البيتين المنقولين، لكنه بالنظر إلى ما جاء في إحياء العلوم نرى أن هذين البيتين ترجمة صادقة لكلام الغزالي. (راجع: أحاديث مثنوي، ص ٢٠٧).
- ١٤٣ - المثنوي، الدفتر السادس، قصة المسلم واليهودي والمسيحي.
- ١٤٤ - الإحياء، ج ٤ / كتاب المراقبة والمحاسبة، ص ٤١٨.
- ١٤٥ - المثنوي، الدفتر الثاني، قصة العطشان الذي يرمي الحصى في الجدول.
- ١٤٦ - كيميائي سعاد، الغزالي، ج ١ / كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ٥١٧. (تحقيق حسين خديو جم، مركز انتشارات علمي وفرهنگي، طهران ١٣٦١ ش)، يقول المرحوم فروزانفر: «لم

الغزالي والمولوي

أعثر على هذا الحديث بالشكل الذي ورد في المثنوي في أي مصدر؛ ثم ينقل قصة متعلقة بعمر تناسب المقام من إحياء علوم الدين، نقلها الغزالي في كتاب كيميائي سعادت بعد قصة علي والصنديد الكافر أيضاً (راجع: مأخذ قصص وتمثيلات مثنوي، ص ٣٧). وجدير بالذكر أن الأستاذ يوسف نبيه سابقاً إلى هذه النقطة (راجع: غلام حسين يوسف، «از كيميائي سعادت»، آرام نامه، ص ١٩٤، طهران، ١٣٦١ ش).

١٤٧ - المثنوي، دفتر الأول، القصة الأخيرة.